من ذخائر السيرة النبوية

وسيلة الإسلام بالنبي
عليه الصلاة والسلام

لأبي العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني
المتوفى سنة 810 هـ

تقديم وتعليق
سليمان الصيد
المحامي

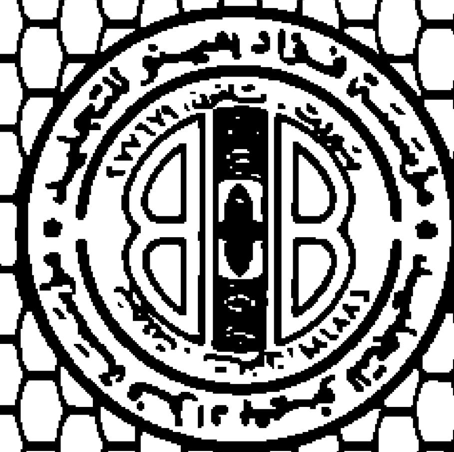
دار الغرب الإسلامي

ابن قنفذ القسنطيني

وسيلة الإسلام بالنبي

تقديم وتعليق سليمان الصيد





مِنْ ذَخَائِرِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

من ذخائر السيرة النبوية

وسيلة الإسلام بالنبي

عليه الصلاة والسلام

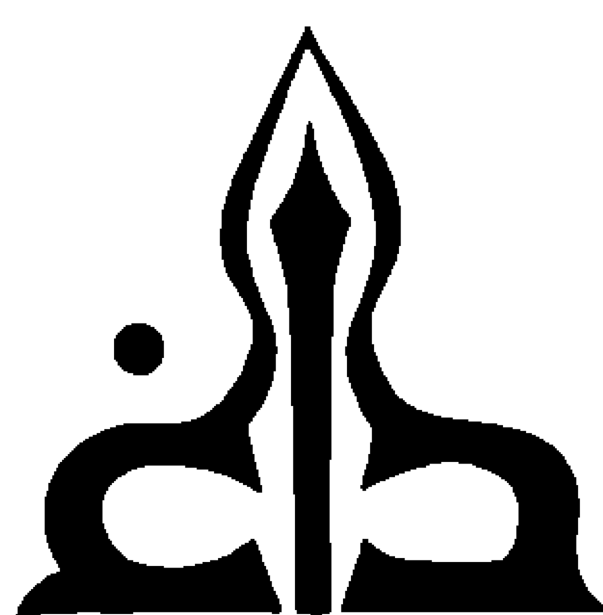
لأبي العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني

المتوفى سنة 810 هـ

تقديم وتعليق

سليمان الصيد

المحامي



دار الغرب الإسلامي

ابن قنفذ القسنطيني

حياته وكتابه «وسيلة الإسلام»

حيَـاة ابن قنفـُذ القسَنطينيُ

1 ـ عصر ابن قنفذ القسنطيني

إن العصر الذي عاش فيه ابن قنفذ القسنطيني عصر مزدهر، إذ بلغـت فيه المعارف أوجها من جميع النواحي الدينيـة والعلمية والأدبيـة وغيرها. وقد أدى إلى نشاط هذه الحركة الثقافية، وقوع تنافس في هذا المجال بين الدول الثلاث التي كانت تحكم المغرب العربي في ذلك الوقت، وهي الدولة المرينية في المغرب، والدولة العبدالوادية ـ الزيانية في الجزائر، والدولة الحفصية في تونس.

في هذا الجو الثقافي ولد ابن قنفذ القسنطيني، وقد أخذ تعليمه في مسقط رأسه مدينة قسنطينة وكانت حاضرة علم في ذلك الزمان بالجزائر. ثم انتقل إلى المغرب وبقي هناك نحو ـ 18 ـ سنة يتعلم. وقد استفاد كثيراً، ثم رجع إلى الجزائر للتزوّد بالعلم. ولم يكتفِ بهذا بل انتقل إلى تونس ليغترف من مناهل العلم فيها، ولهذا فابن قنفذ يُعدُّ من العلماء الأفذاذ المشهورين الذين استوعبوا جميع معارف عصرهم. وبذلـك استطاع أن يؤلف في جميع العلوم والفنون التي كانت مشتهرة في عهده، وكتبه الكثيرة المتنوعة أكبر دليل على ذلك.

2 ـ حياته : [1]

هو العالم المؤرخ الأديب مفخرة الجزائر، أحمد بن حسن الخطيب بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني الشهير بابن قنفذ وبابن الخطيب. وقد عرفه صاحب نيل الإبتهاج بقوله: «الإمام العلامة المتفنن الرحلة القاضي الفاضل المحدّث المبارك المصنف»[2]

وُلد سنة ـ 741 ـ هـ بمدينة قسنطينة، وكانت حاضرة علم في ذلك الوقت، في وسط عائلة اشتهرت بالعلم والتديّن، وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة ـ 810 ـ هـ[3]

3 ـ عائلته :

يمتاز ابن قنفذ عن كثير من العلماء بأنه نشأ بين أحضان عائلة عريقة في المجد العلمي. فجدّ والده حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ المتوفى سنة ـ 664 ـ هـ كان من أكبر المحدّثين ـ درس الحديث الشريف ـ في مدينة قسنطينة. كما أن جده علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ المتوفى سنة ـ 733 ـ هـ كان من أكابر علماء قسنطينة وأكثرهم عملاً، فهو قد تولى مهنة الخطابة ـ في المسجد الجامع ـ بقسنطينة نحواً من خمسين سنة، كما تقلّد خطة القضاء بها مدة ثم استعفى فعوفي[4] أما والده حسن بن علي بن حسن بن علي الخ. المتوفى سنة ـ 750 ـ هـ فهو من العلماء الأجلّاء الذين قاموا بأداء الأمانة العلمية ـ على أكمل وجه ـ بالتدريس والتأليف. فكتابه القيّم الذي ألّفه وسماه (المسنون في أحكام الطاعون) هو كتاب

---

(1) أشير هنا إلى أني كنت قد كتبت ترجمة عن ابن قنفذ القسنطيني نشرت في مجلة العروبة القسنطينية، العدد الأول، وذلك في شهر جانفيه ـ 1964 ـ.

(2) ص ـ 75 ـ من نيل الإبتهاج لأحمد بابا التنبكتي ألّفه عام ـ 1005 ـ هـ.

(3) هناك من يقول إنه توفى سنة ـ 809 ـ هـ كالمؤرخ الزركشي

(4) وفيات ابن قنفذ ص 54 طبع مصر.

مهم، عالج فيه أعقد قضية حارت فيها العقول ـ في عهده ـ ونعني بها مسألة انتشار الوباء والعدوى. فكتابه هـذا ألّفه في وقت حـرج كانت الأنفس البشرية تعاني فيه ويلات الموت كل يوم، وقد تكلم فيه عن:

1 ـ فتنة الوباء[1] ـ الذي اجتاح المغرب العربي وغيره في ذلك العصر.

2 ـ مسألة اختلاف طلبته الذين قالوا: هل يحق للإنسان أن يبتعد عن الشخص الذي مرض بهذا الداء الوبيل، أو يترك الأمر للأقدار؟ كما أن لوالده ـ زيادة على كتابه المسنون ـ آراء صائبة في الفقه مسطّرة في النوازل الفقهية. ومترجمنا ـ ابن قنفذ ـ هذا لم يكن سليل عائلة عريقة في العلوم كما ترى من ناحية أجداده ـ من جهة الأب ـ فحسب، بل إن جده من قبيل الأم الشيخ يوسف بن يعقوب الملاري كان رجلاً عالماً متصوفاً، توفى سنة ـ 764 ـ هـ ودفن بزاويته في ملارة[2] على مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة، وكان سلوكه في طريق التصوف على يد والده[3]

4 ـ رحلته في طلب العلم:

بعدما تعلم ـ ابن قنفذ ـ بقسنطينة واغترف من مناهل العـلم بها، وأخذ معارفه الصحيحة عن فطاحلها كأبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس وغيره، تاقت نفسه الطموحة إلى التزود من العلوم، فسافر إلى المغرب في سنة ـ 759 ـ هـ وكان إذ ذاك بالغاً من العمر ـ 18 ـ سنة. وقد بقي هناك ثمانية عشر عاماً، فحصّل علوماً كثيرة، واعتنى بلقاء الصالحين،

---

(1) في هذا الوباء قال ابن قنفذ في وفياته ص 56 وفي سنة 750 هـ وقع الوباء الأول العام في الأرض، وتوفي في هذه السنة كثير من الفقهاء. ويلاحظ أن أباهُ حسن قد توفي في هذه السنة، ولعله توفي في آخرها وبعدما ألّف كتابه (المسنون في أحكام الطاعون).

(2) هذه الزاوية توجد في مشتى ملارة ببلدية تسدان في الشمال الغربي من فرجيوة على بعد 12 كلم منها. وفرجيوة الآن هي دائرة تابعة لولاية (جيجل حالياً).

(3) وفيات ابن قنفذ ص 58.

وجال بلادها فلقي فيها أبا القاسم السبتي وأخذ عنه وقال في وفياته بعد الثناء عليه (وبالجملة فهو ممن يحصل الفخر بلقائه)[1]

وأبو القاسم السبتي هذا هو صاحب كتاب (رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة). وقد زار ابن قنفذ وهو في القطر الشقيق المغرب مدينة سلا، ولقي بها الولي الصالح العلامة ابن عاشر وعند رجوعه من المغرب بعد غيبته الطويلة، مرَّ على مدينة تلمسان وكانت إذ ذاك حاضرة علم وعاصمة (للدولة العبدالوادية الزيانية)[2] الجزائرية، وكان دخوله للبر الجزائري سنة ـ 776 ـ هـ. وبعد بقائه في الوطن نحو سنة، عزم على شد الرحال في طلب العلم إلى تونس، فزارها في السنة الموالية لقدومه من المغرب ونعني بها سنة ـ 777 ـ هـ فهو يقول عند ذكره للعلامة ابن عرفة: «قرأت عليه بعضه (أي المختصر الكبير) وأنعمت بمناولته واجازته وذلك سنة ـ 777 ـ هـ بدويرة جامع الزيتونة ووجدته على حال اجتهاد في العلم والقيام بالخطبة»[3] كما تقابل في السنة نفسها مع الفقيه أبي الحسن البطرني، فاستفاد منه وروى عنه.

5 ـ مشائخه:

بفضل كد ابن قنفذ واجتهاده وعصاميته، استطاع أن يدرس العلوم على نخبة ممتازة من أشهر علماء زمانه في مختلف العلوم والفنون بالمغرب العربي. فهو قد أخذ العلم عن أبي علي حسن بن باديس[4]، والعلامة أبي عبدالله محمد بن يحيى التلمساني[5]، والإمام المحدث الرحلة الخطيب ابن

(1) ص ـ 75 ـ من نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبع مصر.

(2) حكمت هذه الدولة الوطن الجزائري من سنة ـ 633 ـ إلى ـ 962 ـ هـ.

(3) ص ـ 63 ـ من الوفيات.

(4) هو القاضي الشهير الفقيه المحدث له شرح لمختصر السير لأبي فارس توفي سنة — 787 — هـ.

(5) شارح كتاب الجمل في المنطق توفي سنة ـ 771 ـ هـ.

مرزوق الجد التلمساني[1](من الجزائر)، والعالم الفاضل الشريف أبي القاسم السبتي[2]، والشيخ أبي زيد اللجائي[3]، والإمام النحوي ابن حياتي[4]، والحافظ المفتي أبي محمد عبد الله الوانغيلي الضرير[5]، والعلامة الحافظ القباب[6] والشيخ الحافظ الحجة أبي عمران موسى العبدوسي[7] (من المغرب)، والإمام ابن عرفة[8]، والاستاذ الفقيه أبي الحسن محمد البطرني[9] (من تونس)، والعلامة المؤرخ الكاتب الشهير لسان الدين بن الخطيب الغرناطي[10]، إلى غير ذلك من الأعلام.

6 ـ تآليفه:

يمكن أن أقسم الكتب التي ألَّفها ـ العلامة ابن قنفذ ـ حسب العلوم المختلفة إلى الأقسام الآتية، غير أن تقسيمي هذا لا أقصد به التقصّي والشمول، لأن الكتب المؤلفة ـ في عدة فنون ـ كثيرة ومتنوعة، ومجموعها ـ في الوقت الحاضر ـ غير مطبوع ونادر الوجود، ولا يمكن الاطلاع على

(1) توفي سنة ـ 781 ـ هـ وهو شخصية جزائرية فذّة حَرِيَّة بالبحث والدراسة. له تآليف منها شرحه الجليل على عمدة الأحكام في أسفار خمسة وغير ذلك.

(2) صاحب التآليف المفيدة، أشهرها: رفع الحجب المستورة. توفي سنة ـ 761 ـ هـ.

(3) توفي سنة ـ 773 ـ هـ بفاس.

(4) توفي سنة ـ 781 ـ هـ بفاس.

(5) توفي سنة ـ 779 ـ هـ بفاس.

(6) توفي سنة ـ 779 ـ هـ بفاس. له شرح حسن على قواعد القاضي عياض وشرح على بيوع ابن جماعة التونسي.

(7) المتوفى سنة — 776 — هـ قال فيه ابن قنفذ في وفياته ص 60. (كان له مجلس في الفقه لم يكن لغيره في زمانه ولازمته في درس المدونة والرسالة بمدينة فاس مدة ثمان سنين).

(8) هو العلامة التونسي المشهور له مصنفات أرفعها: المختصر الكبير في فروع المذهب. توفي سنة ـ 803 ـ هـ.

(9) توفي سنة ـ 793 ـ هـ.

(10) هو ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي الأندلسي، توفي شهيداً بفاس سنة ـ 776 ـ هـ. له تآليف عدة منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، ورقم الحلل في نظم الدول وغيرهما.

جميعها ما دامت هذه النفائس الثمينة في حكم المخطوطات وموزعة في عدة بلدان من أنحاء العالم، وفي كثير من الزوايا والمكتبات الغنية بالـوثائق المخطوطة، بل أنّ اسماء الكثير من هذه الكتب لو لم يذكرها المؤلف[1] لما أمكن لنا أن نتعرف على أسمائها لكل هذا أستطيع أن أحصر أغلبها وأدخله تحت عنوان من العناوين كما يلي:

أ ـ **العلوم الفقهية**: له الكتب الآتية فيها:

1 ـ تقريب الدلالة في شرح الرسالة في أربعة أسفار.
2 ـ معاونة الرائض في مبادي الفرائض.
3 ـ أنوار السعادة في أصـول العبادة، وهـو شرح لقـوله ـ صلعم ـ: بُني الإسلام على خمس «الحديث». وفي كل قاعدة من الخمس أربعون حديثاً وأربعون مسألة.
4 ـ بغية الفارض من الحساب والفرائض.
5 ـ تفهيم الطالـب لمسائل أصول ابن الحاجب.
6 ـ شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض.

ب ـ **العلوم العربية**: ألّف فيها:

1 ـ هداية السالك في بيان ألفية ابن مالك.
2 ـ الابراهيمية في مبادي العربية.

جـ ـ علم المنطق له فيه:

1 ـ ايضاح المعاني في بيان المباني، وهو سفر شرح لرجز في المنطق.
2 ـ تلخيص العمل في شرح الجمل في المنطق ـ للخونجي ـ.

---

(1) هذه الكتب عدّدها المؤلف في آخر وفياته. كما ذكرها ابن مريم في آخر بستانه. وسبب ذلك كما قال ابن قنفذ: (وقد سألني رجل عما وقع لي من التآليف ليكتب ذلك في رحلته فأمليت عليه ما صادف زمانه من ذلك ثم ذكر أسماء كتبه).

د ـ **العلوم الرياضية (من فلك وحساب)**: ألَّف فيها الكتب الآتية:

1 ـ القنفذية في ابطال الدلالة الفلكية.
2 ـ تيسير الطالب في تعديل الكواكب.
3 ـ تحصيل المطالب وتكميل المآرب.
4 ـ سراج الثقات في علم الأوقات.
5 ـ حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب ـ وهو شرح تلخيص ابن البناء ـ.
6 ـ شرح منظومة بن أبي الرجال المسماة ـ المنظومة الحسابية في القضايا النجومية ـ.
7 ـ وقاية المؤقت ونكاية المنكت.

هـ ـ **العلوم التاريخية**: لابن قنفذ براعة ومقدرة في استقصاء التاريخ وكتابة التراجم والسير، فهو قد ألَّف ـ في هذا الفن ـ الكتب المهمة الآتية:

1 ـ أنس الفقير وعز الحقير ـ في رجال من أهل التصوف كأبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان وغيره.
2 ـ المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية.
3 ـ تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد ـ وهو غريب ـ.
4 ـ وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهو من أجلِّ الموضوعات في السير لاختصاره.
5 ـ شرف الطالب في أسنى المطالب.
6 ـ الفارسية في مبادي الدولة الحفصية.
7 ـ طبقات علماء قسنطينة[1]

---

(1) جاء في كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، تحقيق عادل نويهض، طبع بيروت سنة ـ 1971 ـ ص ـ 17 ـ ما يلي: ذكر الأستاذ محمد بن أبي شنب في مقالة بمجلة ـ هيسبريس ـ أن هذ الكتاب قد يوجد في إحدى خزانات قسنطينة الخاصة. قال عادل نويهض: لقد =

8 ـ ادريسة النسب في الأمصار والقرى وفي العرب.

و ـ له أيضاً الكتب الآتية:

1 ـ اللباب في اختصار الجلاب.
2 ـ تسهيل العبارة في تعديل الإشارة.
3 ـ بسط الرموز الخفية في شرح عروض الخزرجية.
4 ـ علامة النجاح في مبادي الاصطلاح.
5 ـ تقييدات في مسائل مختلفات.
6 ـ التخليص في شرح التلخيص.
7 ـ أنس الحبيب عند عجز الطبيب.

هذا هو التراث المجيد الذي تركه لنا العلامة ابن قنفذ. غير أنه يلاحظ مع الأسف ان هذه الكتب الكثيرة التي تدل على غزارة علمية ومعارف متعددة، والتي تعبر عن هذا التراث الفكري لازالت مخطوطة في طي الخفاء، ويحتاج نشرها وبعثها إلى الوجود إلى مجهود متواصل من الجميع، وهمة وطنية واعتناء قومي بإحياء تراثنا الثقافي الخالد الذي هو جزء من حياتنا. وفي الحقيقة ان نشر وطبع التراث الجزائري مسؤولية لا تقع على الدولة وحدها، بل على الشعب أيضاً وبالأخص المنظمات الثقافية.

7 ـ كتبه المطبوعة:

لا بأس أن اذكر بعض كتبه التي مرت ولنقتصر على المطبوعة كما يلي:

1 ـ كتاب الوفيات: طبع لأول مرة في الهند سنة ـ 1911 ـ بإشراف مولوي محمد هدايت حسين، ثم طبعه المستشرق الفرنسي هنري بيريس في مصر

= اطلعت على مخطوطة من هذا الكتاب في مدينة الجزائر وأعمل الآن على تحقيقها.

بدون تاريخ، ثم طبعه الاستاذ عادل نويهض في بيروت 1971

وكتاب الوفيات هذا هو تكملة وذيل لكتاب ـ شرف الطالب في اسنى المطالب[1] ـ تكلم فيه المؤلف ابن قنفذ عن تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين والعلماء والأدباء، ابتداءً من المائة الأولى للهجرة إلى المائة الثامنة منها. وبعبارة أوضح ابتداءً من تاريخ وفاة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم سنة - 11 - هـ إلى تاريخ وفاة الأستاذ الجليل المفتي أبي عبد الله محمد بن عبدالرحمن المراكشي الضرير المتوفى سنة ـ 807 ـ هـ، أي إلى ما قبل وفاة المؤلف رحمه الله بثلاث سنوات. ولشهرة هذه الوفيات وقيمتها التاريخية، فقد ذيَّلها العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد الشهير بـابن القاضي[2] ، وألَّف كتاباً لذلك سماه ـ لقط الفرائد ـ ابتدأه من أول المائة التاسعة إلى تمام المائة العاشرة. كما قام بنظم الوفيات الوزير الأديب محمد بن علي الفشتالي[3] في لامية مشهورة ضمن فيها وفيات ابن قنفذ من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى نهاية المائة الثامنة، وزاد على ذلك إلى تمام سنة ألف هجرية.

هذا وقد ذيَّل هذه اللامية الثمينة، الأديب المكلاتي، وله كتاب قيّم يدعى ـ ذيل نظم الوفيات ـ للمكلاتي[4] وكتاب الوفيات لابن قنفذ هذا أيضاً قد قام بطبعه الأستاذ محمد حـجـي في الرباط (المغرب) سنة 1976 مع كتابين آخرين هما: ـ وفيات الونشريسي ـ لأحمد الونشريسي، و ـ لقط الفرائد ـ لأحمد بن القاضي، وطبع الكتب الثلاثة في كتاب واحد بعنوان ـ ألف سنة من الوفيات ـ.

---

(1) هذا الكتاب شرح فيه منظومة ابي العباس أحمد بن فرج الاشبيلي في مصطلح الحديث.
(2) هو صاحب كتاب جذوة الاقتباس ودرة الحجال وغيرهما، توفى سنة ـ 1025 ـ هـ.
(3) توفى سنة ـ 1021 ـ هـ.
(4) ذكره الأستاذ عبدالله كنون في كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي ص ـ 258 ـ.

2 ـ انس الفقير وعز الحقير: هو كتاب صنفه ابن قنفذ في ترجمة الشيخ أبي مدين دفيـن تلمسان[1] وهو كتاب ترجم فيه لعدة أشخاص من فاس ومراكش، وكذلك لبيوتات شهيرة في عهده. قام بنشره وتصحيحه وطبعه في الرباط (المغرب) سنة 1965 الأستاذان محمد الفاسي وأدولف فور.

3 ـ الفارسية في مبادي الدولة الحفصية[2] كتاب لابن قنفذ، قد حققه وأعدّه للطبع الشيخ محمد بن أبي شنب[3]، غير أن وفاته رحمه الله حالت دون ذلك. ولأهمية هذا الكتاب فقد نشرت المجلة الآسيوية الفـرنسية مقتطفات منه. وقد طبع الكتاب طبعتان: الأولى على الحجر بباريس سنة 1263 هـ (1846 م) والثـانيـة نشـر بـورو نشفيق بتـونس سنـة 1351 هـ (1932 م). وقد قام بتقديم وتحقيق الكتاب وطبعه في تونس سنة ـ 1968 م ـ الأستاذان محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي

(1) هو شيخ المشائخ وسيد العارفين الإمام المشهور أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، توفي سنة ـ 594 ـ هـ ودفن بالعباد في تلمسـان.
(2) هي دولة كانت معاصرة لدولتي بني زيان في الجزائر وبني مرين في المغرب امتلكت تونس وغيرها من سنة ـ 603 ـ إلى سنة ـ 981 ـ هـ.
(3) هو العلامة الجزائري الدكتور محمد بن أبي شنب توفي سنـة ـ 1347 ـ هـ (1929 م).

ابن قنفـُـذ وَكتَاب "وَسيلَة الإسْلام"

إن هذا الكتاب الذي ألَّفه العلامة ابن قنفذ القسنطيني في السيرة النبوية هو كتاب نفيس له قيمة كبيرة، استطاع مؤلفه أن يوضح فيه أشياء في السيرة بأسلوب مختصر جذاب يدل على مقدرة في التأليف وإحـاطة شاملة ودقيقة بالسيرة النبوية الكريمة من جميع جوانبها. فابن قنفذ قد أجاد فعلاً في كتابه (وسيلة الإسلام) إجادة تامة. فهو بفضل معرفته الواسعة وثقافته المتنوعة، استطاع أن يأخذ لب السيرة النبوية ويؤلف فيها، ويسلط على جوانب منها أضواء هي في حاجة إلى إيضاح وتبيين. فمؤلف كتاب (وسيلة الإسلام) حقيقة له براعة فائقة في أخذ الحوادث التاريخية وصوغها بأسلوب شيق له إشراق ووضوح وفيه قناعة وتحقيق وتدقيق.

هذا وان ابن قنفذ قد اعتمد في كتابه (وسيلة الإسلام) على كتب عديدة موثوق بها، وقد استفاد منها جميعاً واقتبس ما يريده منها بأسلوب حسن لطيف مشوق قد يبز به من اعتمد عليه في ذلك، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1 ـ مسألة زيد بن حارثة الذي اكترى من رجل بغلاً وخرج معه فمال به الكاري إلى خربة ليقتله. هذه المسألة جاءت في كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبدالبر المتوفى سنة ـ 463 ـ هـ جـ 2، ص 546 -547. وقد ذكرها ابن قنفذ في كتابه (وسيلة الإسلام) اقتباساً بـأسلوب حسن فيه توجيه وفائدة.

2 ـ حكاية نعيمان بن عمير الذي باع سويبط بن حرملة فكاهة منه إلى طائفة من العرب حتى تدخل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في القضية. هذه الحكاية جاءت في كتاب (الاستيعاب) لابن عبدالبر ج 4، ص 1526 وما بعدها. وقد ذكرها ابن قنفذ في كتابه (وسيلة الإسلام) لا حرفياً كما يفعل بعض المؤلفين، بل بأسلوبه الخاص الذي يمتاز به ويدل على براعته ومقدرته في التأليف. إن أسلوب ابن قنفذ في كتابه (وسيلة الإسلام) أسلوب مثقف تزخر تعابيره بالفوائد والوقائع التاريخية المهمة.

وفي نشرنا لهذا الكتاب وتعليقنا عليه وتوضيحنا لبعض ما ورد فيه، اعتمدنا رغم كثرة المراجع في السيرة النبوية على كتب نرى أنها هي أقرب إلى كتاب (وسيلة الإسلام) منها:

أ ـ الكتب المطبوعة:

1 ـ سيرة ابن اسحاق المسماة بكتاب المبتدا والمبعث والمغازي، لمحمد بن اسحاق بن يسار المتوفى سنة ـ 151 ـ هـ.
2 ـ حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، لعلي فهمي الموستاري.
3 ـ تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي.
4 ـ الوفا بأحوال المصطفى، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
5 ـ أضواء تاريخية على أسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت، لمحمد اسماعيل ابراهيم.
6 ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر.
7 ـ الكامل في التاريخ، لعز الدين أبي الحسن على المعروف بابن الأثير.
8 ـ السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بـن هـ م
9 ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لفتح الدين محمد بن محمد اليعمري الأندلسي المعروف بابن سيد الناس.
10 ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي.
إلى غير ذلك.

ب ـ الكتب المخطوطة:

1 ـ كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان الكلاعي البلنسي.
2 ـ مختصر ما لا يسع أحداً جهله من أخبار سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد الأموي شهر بابن الدارس.
3 ـ المولد النبوي المسمى بالسّول في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الهواري المدني المغربي الأندلسي الضرير.
4 ـ كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، لأبي مروان عبد الملك بن ابي القاسم بن الكردبوس التوزري.
5 ـ كتاب تذكرة المحبين في اسماء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لأبي عبدالله محمد بن قاسم الانصاري الرصاع.

ولعل الله يعيننا في المستقبل، فنقوم بتحقيق ونشر هذه المخطوطات وغيرها، وذلك بالرجوع إليها في مظانها خدمة لتراثنا الإسلامي العربي. والله الموفق إلى الصواب والهادي إلى طريق الصراط المستقيم.

مخطوطة وسيلة الإسلام

هو مخطوط مكتوب على ورق عادي سميك بخط واضح، تتخلله بعض أغلاط، عدد أوراقه ـ 51 ـ ورقة ونصف ورقة. طول الصفحة ـ 15,5 ـ سنتيمتراً وعرضها ـ 8,5 ـ سنتيمتراً في كل صفحة ـ 20 ـ سطراً يوجد هذا المخطوط مع كتاب آخر قبله مخطوط هو ألفية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في أولها:

يقول راجي من إليه المهرب عبد الرحيم بن الحسين المذنب
أحمد ربي بأتم الحمد وللصلاة والسلام أهدي
إلى نبيه وأرجو الله في نجح ما سألته شفاها
من نظم سيرة النبي الأمجد ألفية حاوية للمقصد

وكلا الكتابين يجمعهما سفر واحد نظيف.

مؤلف هذا الكتاب ـ وسيلة الإسلام ـ علامة جزائري هو أحمد بن قنفذ القسنطيني. ليس لدينا من هذ الكتاب غير مخطوط وحيد لا ثاني له. وقد جرت عادة المحققين في المخطوطات أنهم لا يمانعون في نشر المخطوطة الفريدة النادرة. هذا وإن مخطوط كتاب ـ وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ـ ذكره مؤلفه في جملة اسماء كتبه التي ألَّفها، وذلك في آخر كتابه ـ الوفيات لابن قنفذ ـ الذي طبعه في مصر بدون تاريخ المستشرق الفرنسي هنري بيريس. وقد طبعت الوفيات في الهند أيضاً. قال ابن

قنفذ: ومنها ـ وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ـ. وهو من أجلّ الموضوعات في السّير لاختصاره. وقد أعاد طبع كتاب ـ الوفيات ـ الأستاذ عادل نويهض في بيروت سنة ـ 1971 ـ وعندما تكلم في الوفيات عن كتاب وسيلة الإسلام قال «يعتبر الآن ضائعاً». أما ناشرا كتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ بالرباط (المغرب) سنة ـ 1965 ـ الأستاذان محمد الفاسي وأدولف فور، فقد ذكرا في أنس الفقير كتاب وسيلة الإسلام مجرداً دون إشارة إلى المكان الذي يوجد فيه. كما أن الأستاذين محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، قد ذكرا كتاب وسيلة الإسلام في كتاب ـ الفارسية في مبادي الدولة الحفصية ـ لابن قنفذ الذي قاما بتحقيقه وطبعه بتونس سنة ـ 1968 ـ دون أي تعليق عليه، أو ذكر للمكان الذي يوجد فيه. وهذا يدل على ان كتاب ـ وسيلة الإسلام ـ نادر ولا توجد نسخ مخطوطة له.

وعلى كل حال فهذا لا يمنعنا من ان نقوم بالتعليق على هذا الكتاب قدر الإمكان ونشره ـ نظراً لأهميته ـ. ولعل المستقبل إن شاء الله سيكشف لنا نسخة أخرى فيعاد التحقيق للكتاب بصورة أدق وأضبط.

* * *

ولا بأس هنا أن أذكّر القارىء الكريم بأنني لم أغير تنظيم الكتاب الذي اختاره المؤلف له، وهذا حسب النسخة التي بين ايدينا وهي فريدة، وذلك محافظة منا على النص الأصلي للكتاب، لأنني لو قمت بجعل عناوين لمواضيع الكتاب كما أريد بحذف هذا وجعل عنوان لذلك وتقديم هذا عن ذاك، لتغيرت صورة الكتاب الأصلية. والأمانة التاريخية تتطلب منا المحافظة على الكتاب كما نظمه ورتّبه مؤلفه وهو أدرى بذلك، وهمم الرجال مقيسة بزمانها.

إني اعتمدت ـ كما ذكرت سابقاً ـ على عدة مصادر في تقويم النص

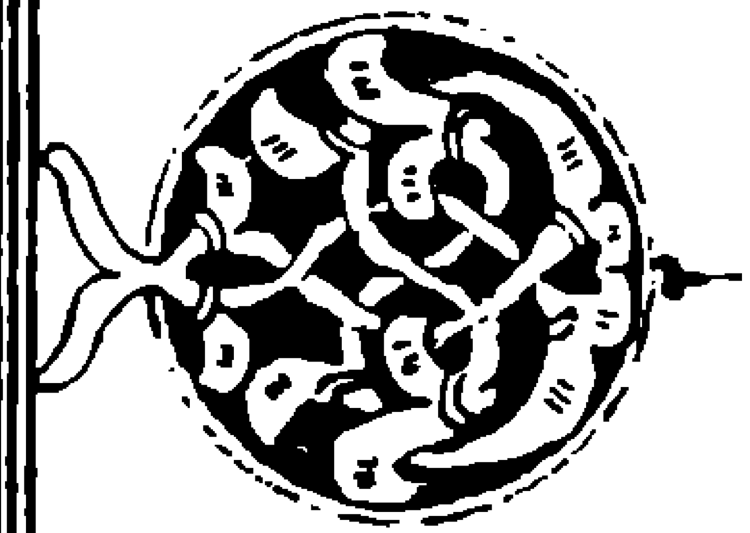
والتعليق عليه جهد الاستطاعة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، كالاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وغيرهما من الكتب التي لها علاقة وصلة بالكتاب المخطوط. وإني في الأخير أهيب بالمؤرخين والأساتذة المحققين أن يوافونا بانتقاداتهم وملاحظاتهم البناءة، لنتدارك ذلك في طبعة أخرى إن أراد الله ذلك، ولهم منا جزيل الشكر سلفاً والسلام.

قسنطينة في 24 -6 -1983

سليمان الصّيد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام العالم العلامة
الأوحد المدرس المفتي الخطيب
القاضي الأعدل أبو العباس أحمد
ابن الخطيب قدس الله روحه بمنه



الحمد لله الذي من تواضع له رفعه، ومن توكل عليه أيده و
نصره، ومن توسل إليه بمحمد نبيه لم يخيب أمله، أحمده
حمد من خشي ربه، وحمد من يشكر من الدوام عليه، وأشكره
وأستمده الأمن يوم الوقوف بين يديه، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية
الذي أرسل كل نبي بآية، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذي أرسله للكافة بآياته، وأيده بخوارق عاداته ومعجزاته
الله أعلم حيث يجعل رسالته، صلى الله عليه وعلى آله صلاة
متصلة إلى يوم البعث وحياته وبعد فإن أولى
ما اشتغل به الطالب، وعني به الراغب، سيرة الرسول عليه
الصلاة والسلام، وحكم الذي بني الإيمان والإسلام

صلى الله عليه وسلم

والامتزاد

ـ الصفحة الأولى من المخطوط ـ

وكل مفرد من مفرداتها، والتيسير لمجموع أقوالها، رغبت
إلى ذكره أقسامه ومداركها، ليكون كالمدخل إلى جميع أنوارها
فأجبته بعد الاعتراف بالتقصير والعجز عن الخوض في
هذا البحر العظيم رغبة في الثواب والأجر، وتوسلا بسيد
البشر المبعوث إلى الأسود والأحمر، وقد بنيت هذا الكتاب
على أبواب وفصول [illegible] وسميته
هذا المجموع المشهور التركية لقراءة الحزب النبوي في السكون
والحركة، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام
ورتبته في سنة تسع وثمانمائة بقسنطينة المحروسة
على خمسة أبواب والله المسئول بالهداية إلى طريق الصواب

الباب الأول

في نسبه عليه الصلاة
والسلام وفي أسمائه وفي تاريخ ولادته ومن قام بحضانته

الباب الثاني

في ذكر زوجاته عليه الصلاة وال
سلام وأولاده وذريته ومواليه وخدمه وحرسه

الباب الثالث

في بعثه عليه الصلاة والسلام
وبعوثه وغزواته ووفاته

الباب الرابع

في بعض معجزاته عليه الصلاة والسلام

الباب الخامس

في ذكر بعض السنية أحواله
وفضل الصلاة عليه وعلى أهله وآله صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في نسبه عليه الصلاة

- الصفحة الثانية من المخطوط -

الدار ثمن شقيه وذهب في ملكها الخ

فصل

الزبير بن العوام امه صفية عمة النبي صلى
الله عليه وسلم اسلم وهو ابن خمسة عشر سنة وشهد المشاهد
كلها وكان له الف مملوك يؤدون اليه الخراج فيتصدق
به كله وفيه قال حسان بن ثابت

وكم كربة اجلا الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل
ثناؤه خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

وكان حسان يفضله عن جميع الصحابة كما كان ابو هريرة
يفضل جعفر بن ابي طالب عن جميع الصحابة وقتل يوم الجمل
سنة ست وثلاثين وهو ابن سبع وستين سنة وقتل الحجاج
ابنه عبد الله سنة ثلاث وسبعين بعد حصار بمكة وقتله
لما وهو كريم الآباء والامهات فالزبير ابوه وصفية جدته
واسماء بنت ابي بكر امه وعائشة رضي الله عنها [illegible] وعا
ئشة رضي الله عنها خالته وهو اول مولود ولد في الاسلام
في المدينة وفرح به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون

فصل سعد بن ابي وقاص اسلم وهو
ابن تسع عشر سنة ويوم اسلامه كان ثالثا قال لبثنا سبعة
ايام وانا ثلث الاسلام وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله
وكان مجاب الدعوة مسدد رميته بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه قال اللهم اجب دعوته وسدد رميته

توبى

ـ صفحة من وسط المخطوط ـ

ـ صفحة من وسط المخطوط ـ

وأجمع العلماء من أهل السنة أن من عاب النبي صلى الله
عليه وسلم أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة
من خصاله أو عرض به أو نسب له شيء على طريق الازراء
والتنقيص لشأنه فحكمه حكم الساب فيقتل وإن تاب فتنفعه التوبة
فيما بينه وبين الله ولا تنفع عند القتل ويكون قتله حدا لا
لا كفرا وما كان من حق الله فالعقوبة فيه موكلة إلى الحاكم
وحكم ساير الانبياء حكم نبينا عليه الصلاة والسلام
وسب آل بيته وأصحابه وأزواجه وذريته صلى الله عليه
وسلم وتنقيصهم حرام فيجب فيه العقوبة الشديدة ويجوز
والأدب من [illegible] الجهة بالصلاة والسلام من سب أحدا [illegible]
[illegible] أنه [illegible] تعالى ومن [illegible]
لعنه الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا. وفي انتهى ما تيسر لنا [illegible]
على الوجه الذي قد رمناه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ونسأله جل وعلا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن
يتقبله منا بفضله العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم
كثيرا أكثر أحمد دائما أبدا إلى يوم الدين وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
يوم الجمعة عشر المحرم في شهر الله المعظم سنة
تسع وتسعين بعد المائة والألف على يد [illegible] أحمد [illegible]
[illegible] عمر الله [illegible] سنة [illegible] نسبا ومسكنا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله

ـ الصفحة الأخيرة من المخطوط ـ

كتاب وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصّلاة والسّلام

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد، المدرس، المفتي، الخطيب، القاضي الأعدل، أبو العباس أحمد بن الخطيب، قدَّس الله روحه بمنه. الحمدلله الذي من تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر عليه أذلّه ووضعه، ومن توسَّل إليه بمحمد ﷺ نجَّاه ونفعه، أحمده حمد من أحسن إليه،وأشكره بشكر من أنعم عليه، وأسأله الأمن يوم الوقوف بين يديه، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، الذي له في كل شيء آية. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله للكافة بآياته، وأيّده بخوارق دعواته ومعجزاته الله أعلم حيث يجعل رسالاته، صلى الله عليه وعلى آله صلاة متصلة إلى يوم البعث وحياته.

وبعد. فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعنى به الراغب، سير الرسول عليه الصلاة والسلام، وخبره الذي يزيد في الإيمان والإسلام ولامتداد مصنفاتها واتساع مجموعاتها، رغب الراكد[1] في اقتضاب ازهارها، ليكون كالمدخل إلى جميع أنوارها. فأجبته بعد الاعتراف بالتقصير والعجز

(1) هو كل شيء ثابت في مكانه.

عن الخوض في هذا البحر العظيم رغبة في الثواب والأجر، وتوسلاً بسيد البشر المبعوث إلى الأسود والأحمر، وقربت في ذلك الكلام على أرفق قصد ومزار، وسمّيت هذا المجموع لظهور البركة بقراءة الحديث النبوي في السكون والحركة (وسيلة الإسلام[1] بالنبي عليه الصلاة والسّلام) ورتبته في سنة سبع وثمانمائة بقسنطينة[2] المحروسة على خمسة أبواب. والله المسؤول بالهداية إلى طريق الصواب.

الباب الأول: في نسبه عليه الصلاة والسّلام وفي أسمائه وفي تاريخ ولادته ومن قام بحضانته.

الباب الثاني: في أزواجه عليه الصلاة والسّلام وأولاده وقرابته ومواليه وخدمه وخواصه.

الباب الثالث: في مبعثه عليه الصلاة والسّلام وبعوثه وغزواته ووفاته.

الباب الرابع: في نبذ من معجزاته عليه الصّلاة والسّلام

الباب الخامس: في ذكر بعض السنية أحواله وفضل الصلاة عليه وعلى أهله وآله صلّى الله عليه وسلّم.

---

(1) في أصل المخطوطة مكتوبة: وحمية الإسلام.

(2) مدينة قسنطينة هي عاصمة الشرق الجزائري. وهي من المدن الجزائرية التي لها قيمة تاريخية وسمعة طيبة في مجال العروبة والإسلام، ويكفيها فخراً أنها أنجبت رجالاً عظماء وفي مقدمتهم ـ أبو النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ـ.

الباب الأول

في نسبه عليه الصلاة والسلام وفي أسمائه وفي تاريخ ولادته ومن قام بحضانته

الفصل الأول

في نسبه عليه الصلاة والسّلام

قال رسول الله ﷺ: «إن الله آصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، وآصطفى من ولد إسماعيل كنانة، وآصطفى من بني كنانة قريشاً، وآصطفى من قريش بني هاشم، وآصطفاني من بني هاشم». وقال عليه الصلاة والسّلام: «الناس تابع لقريش والناس معادن[1] خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». قال ابن حبيب «لم يكن بطن في قريش إلّا وله فيه قرابة». وقال عليه الصلاة والسّلام: «بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء». وعن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوين لم يلتقيا على سفاح قط».

فصل

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن

(1) جاء في كتاب الصحيحين من كلام سيد الكونين ﷺ ليوسف بن اسماعيل النبهاني ص ـ400ـ طبع مصر ما يلي: الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا =

قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. هذا متفق عليه. وفيما بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السّلام إلى آدم عليه السّلام خلاف.

فصـل

وعبد الله أقر بالعبودية لله تعالى وهو المهدي، وذلك أن أباه عبد المطلب استضعف نفسه بعد حفر بئر زمزم الذي أمر بحفره في المنام، وأرادت قريش مشاركته فيه، فقال يا رب إن رزقتني عشرة من الولد لأتقربن بذبيح واحد عند الكعبة، فلما جعل الله له ذلك أخبر أولاده به. فقالوا آفعل، فرمى بالأقداح، وذلك شبه القرعة ليخرج اسم الذبيح، فخرج عبد الله وكان أعز أولاده عليه. فكرّر مراراً فلم يخرج إلاّ عبد الله، فعزم على ذبحه فمنعته أمه[1] وأشار من أشار إليه أن يخرج إلى الكهانة ففعل، وسألها فقالت: اضرب على عشرة من الإبل وعلى اسم عبد الله، فإن خرج عبد الله فزد عشرة، ففعل فلم يخرج إلا عبد الله حتى انتهى إلى مائة. فكلما كرر الضرب لم يخرج إلا الإبل، فكانت فديته من الذبح مائة من الإبل فسمي عبد الله الذبيح.

= فقهوا الناس تبع لقريش في هذا الشأن. مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. الحديث.

(1) هذا قول العلامة ابن قنفد القسنطيني. وهناك قول آخر. فقد جاء في كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير ج 2 ص 6 طبع بيروت. «فقامت قريش من أنديتها فقالوا ما تريد؟ قال أذبحه. فقالت قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه». وجاء في كتاب الوفا بأحوال المصطفى للإمام ابن الجوزي ج 1 ص 85 طبع مصر: فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا: «لا تفعل حتى تُعذر فيه». فأنطلق به إلى عرّافة فقالت له كم الدية فيكم؟ قال عشر من الإبل. وجاء في كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، كتاب مخطوط مهم لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي ما يلي: وقال له المغيرة بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم أمه وأم أخويه الزبير وأبي طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم «والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه».

فصل

واسم عبد المطلب عامر، وإنما سمي بعبد المطلب لأن عمه المطلب بن عبد مناف قدم به من المدينة إلى مكة رديفاً خلفه على بعير. فلما رأته قريش قالت عبد المطلب. فقال لهم بل هو ابن أخي هاشم وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكانت بركة النبوة ظاهرة عليه

فصل

وأما هاشم فاسمه عمر، وكان شريف المنصب في قومه، وكان يطعم الطعام في الشدائد، يهشم الخبز والكعك وينحر الإبل للأهل وللحاج طعام يشبه الثريد، فسمي بذلك هاشماً، وتوفي وترك زوجته سلمى بنت عمرو حاملاً بعبد المطلب.

فصل

وأما عبد مناف فاسمه المغيرة. وكان يقال له القمر لجماله.

فصل

وأما قصي فاسمه زيد، مصدر زاد يزيد زيداً، وحاز الشرف في قريش. وقصي (بفتح القاف) مأخوذ من البعد، لأن أمه قصت به في بلد أخواله فقصي عن قومه، فهو تصغير قاص (بالصاد المهملة).

فصل

وأما كلاب (بكسر الكاف) فهو مصدر كالبت العدو مكالبة وكلاباً. وقيل جمع كلب لأن العرب يريدون الكثرة من مخوف كسباع وأنمار وذئاب. وقيل لبعضهم لِمَ تسمون أبناءكم بأشرار الأسماء، كذيب وكليب وذويب،

وعبيدكم بأحسنها كرباح ومرزوق. فقال: أبناؤنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا أي الأبناء عدة للعدو وسهام في نحورهم. فللعرب حكمة في سر كلامهم واصطلاحهم. وكان كلاب عظيم القدر وهو أول من سمّى الشهور العربية محرّم وصفر إلخ.

فصل

وأما مُرة فمنقول من الحنظلة وغيرها مما فيه مرارة. وقيل منقول من اسم شجرة.

فصل

وأما كعب فمأخوذ من كعب القدم لثبوته في المخاوف. وكان سيداً في قومه عظيم القدر والمنصب، وقرأ الكتب القديمة وهو الذي سمي يوم العروبة الجمعة، وكان يخطب يوم الجمعة في قريش ويذكرهم النبي ﷺ [1] وأنه من ولده ويأمرهم بإتباعه.

فصل

وأما لؤي فهو تصغير لاء فهو البطء كأنهم يريدون منه ترك العجلة.

فصل

وأما غالب فهو جماع قريش وكان سيداً في قومه.

فصل

وأما فهر (بكسر الفاء) فهو اسم منقول من الحجر الأملس. وكان

(1) وقد أشار إلى هذا أيضاً العلامة ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ج 2 ص 25.

سيداً عظيماً في العرب فصيحاً ذو حكمة. والصحيح أن من لم ينسب إلى فهر فليس بقريشي وقيل ليس أحد من قريش إلاّ من ولد غالب.

فصل

وأما مالك فهو من الملك (بكسر الميم) وهو ظاهر.

فصل

وأما النضر فهو من الحسن والجمال والنضير ما يستحسن. والنضر بن كنانة هو أول من سن في القتل مائة من الإبل، وكانت في العرب وأقرها الإسلام. وكان النضر يوسر حاجة الناس بماله وقرشه، والقرش بالقاف الكسب. فهو على هذا أول من سمّي بقريش وقيل غير ذلك.

فصل

وأما كنانة فالكنانة جعبة السهام فهي ترفع وتضم ما يضرع الشجعان.

فصل

وأما خزيمة فهي تصغير خزمة، وهي شجرة تتخذ من قلوب ـ كذا ـ الجبل وهو التخزم فهو للإصلاح.

فصل

وأما مدركة فاسمه عامر[1] ولما شردت إبل أبيه وأدركها سمي مدركة. والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة.

---

(1) في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 28 اسمه عمرو.

فصل

وأما إلياس فهو بكسر الهمزة. فمثل الياس النبي عليه السلام وكان له الشرف في ظهره بالحج. وقال ﷺ إنه مؤمن.

فصل

وأما مضر فسمي به لبياضه، وربيعة أخوه وكانا مؤمنين(1)

فصل

وأما نزار فهو بكسر النون، سمّي به لأن أباه كان ينظر إلى نور النبوة بين عينيه ففرح لذلك ونحر وأطعم وقال هذا كله نزر أي قليل في حق هذا المولود.

فصل

وأما معد فأصله من المعد (بكسر العين المهملة) فهو القوة ومنه اشتقاق المعدة.

فصل

وأما عدنان فهو من عدن المكان إذ أقام فيه، ومنه جنات عدن، ومنه المعدن (بكسر الدال) لأنه يقام فيه لطلب جواهره. وكان حائزاً لحظوظ

(1) جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 32. وروي أن النبي ﷺ قال: لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما مسلمان. ونفس الحديث النبوي جاء في كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء. كتاب مخطوط تأليف العلامة أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي ورواية الاكتفاء هي: وروى ميمون بن مهران عن عبد الله بن العباس أن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا مضر وربيعة الحديث. وكتاب الاكتفاء في بعض المراجع يسمى كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء.

الشرف والمجد. قال الجوزي رحمه الله: «ولا خلاف أنه من ولد إسماعيل، ولا خلاف أن النبي ﷺ ينتهي إليه. ثم اختلف ان رفع اسمه ونسبه ﷺ من عدنان إلى آدم فمنهم من كرهه كمالك رحمه الله لعدم الثقة، ومنهم من أجازه كابن إسحاق وغيره. وسئل مالك عن رجل يرفع نسبه إلى آدم أو إلى إسماعيل فأنكره وقال من يخبره بذلك. وقيل بين عدنان وإسماعيل أربعين أباً، وقيل بين عدنان وإسماعيل ثمانية آباء. وقال بعضهم كان النبي ﷺ إذا انتهى إلى عدنان أمسك.

الفصل الثاني
في أسمائه عليه الصلاة والسلام

قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء. أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحي الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» ﷺ. ومحمد مفعول مبالغة وهو منقول من صفة المفعول بفاء أي أنه يكثر حمده فهو بمعنى محمود أي هو محمود في الدنيا بما يقع له من العلم والحكمة، ومحمود في الآخرة بالشفاعة والرتبة العالية. ولذلك قال موسى عليه السلام: «اللهم اجعلني من أمة محمد». وأحمد فعل من صفة الحمد فهو من الحامدين، ومعه لواء الحمد وهو اللواء الذي يكون تحته الحامدون لله تعالى على كل حال. وخص بصورة الحمد وله المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون. وفتح عليه فيه المحامد التي لم تقع على غيره. والاشتقاق فيهما من أسماء الله تعالى. ولهذا أشار أبو طالب بقوله في قصيدته:

وشق لــه من اسمــه ليجلّه   فذو العرش محمود وهو محمد

قال بعض المحققين: ما سمعت أحسن من بيت أبي طالب ولا أصدق من بيت قالته العرب، وهو هذا:

وما حملت من ناقة فوق حملها   أبـرّ وأوفـى ذمّــة من محمــد

وقال بعضهم: أنصف بيت قالته العرب بيت حسان وهو.

أتهجوه ولست له بكفؤ[1]

ولا يعرف من اسمه محمد قبل مبعثه ﷺ إلا أقواماً من العرب أربعة. والسبب أن رجالاً أربعة من بني تميم أخبرهم بعض الرهبان بالشام أن زمان نبي أعرابي اسمه محمد قرب. فنذر كل من كان له ولد أن يسميه محمداً رجاء أن يكون هو. فولد لهم أربعة فسموهم بمحمد (حكاه البغوي في كتاب الصحابة، وحكاه البيهقي على ما نقله الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حجاج). وأما أحمد ومعناه الخاضع لله تعالى، فلم يسم به أحد قبله. وقيل المسمون به نحو الثلاثة، وهذا ضرب من الاعجاز فإنه[2] على الاعلام بهذين الاسمين الكريمين أحقاب وأعمار ولم يتسم بذلك أحد مع اعتناء أهل الكتاب بالتسمي بما في الكتب المنزلة وصرف الله الخلق عن ذلك. وأما العاقب فهو الذي جاء عقيب الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام، وهو خاتمهم. وله عليه الصلاة والسلام أسماء أخرى جلية المعاني، صحيحة المباني مذكورة في المصنفات[3]

(1) وتمام البيت: فشركما لخيركما الفداء. وهذا البيت من قصيدة قالها شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت في الرد على أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. وحسان رحمه الله له ديوان شعر مطبوع. أنظر إن شئت كتاب حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ج 1، ص 17 ، وغيرها لعلي فهمي الموستاري مفتي هرسك سابقاً طبع درسعادت سنة 1324 هـ.

(2) بياض في المخطوط نحو كلمة.

(3) من أهم المصنفات التي أطلعت عليها ـ كتاب مخطوط ـ في شرح أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام للعلامة أبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري نسباً التلمساني، مولداً التونسي، تربية ومنزلاً وقراءة. الرصاع شهرة. وهو كتاب مفيد ونفيس يحتاج إلى تحقيق ونشر سمّاه: تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين ﷺ.

الفصل الثالث

في تاريخ ولادته ﷺ

لا خلاف بين العلماء أن النبي ﷺ ولد عام الفيل بعد قدومه مكة. والفيل ساقه جند الحبشة إلى مكة في جيشهم يغزون به البيت الذي يريدون هدمه وزواله. فردهم الله تعالى وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم فأهلكتهم بحجارة صغيرة من سجيل تأتي بها في أفواهها فتدخل بنقرها في رأس الرجل منهم وتخرج من دبره فيموت. وكانت عبرة عظيمة. وشأنهم في الأمر العظيم أن يؤرخ[1] به. فولد ﷺ عام الفيل بعد قدومه مكة بخمسين يوماً. وقيل غير ذلك، واختلف في الشهر الذي ولد فيه. قيل في شهر رمضان في الثاني عشر منه. حكاه ابن عبد البر في الاستيعاب[2] وقيل شهر ربيع الأول في ليلة الاثنين الثامن منه. وقيل الثاني عشر منه. والذي صححه كثير من الناس أنه الثامن منه. وذلك قبل الهجرة باثنين وخمسين عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً هلالية. وقيل قبل الهجرة بثلاثة وخمسين سنة هلالية غير خمسة أيام. وولد في عشرين من أبريل من عام اثنين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين الاسكندري، وهي سنة تحويل العرب الانتقالي العقربي المرتقب عند

(1) في أصل المخطوط مكتوب أن بورح به.

(2) اسم كتاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر سمّاه ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ذكر هذا في ص 30 ج 1 طبع مصر.

الأقدمين على ما أشار إليه بعض العلماء. وسنة الولادة وهي سنة خمس وسبعين وستمائة وثلاثة الأول للطوفان فإن الذي يؤرخ به أهل بـابيل وكانت ولادته ﷺ بمكة في آخر ليلة(1) المباركة(2) قبل انصداع الفجر قاله بعضهم. والسهيلي في كتاب التعريف ولد في شهر برج الحمل، يعني أبريل بطالع الظهر. قال وهي منزلة الأنبياء.

ونقل بعضهم عن الخوارزمي أنه قال رأيت رواية بخط أبي ياس البغدادي أنه ولد بأول الحوت في أول الساعة التاسعة من ليلة الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول عام الفيل، بأول النور والزهرة في وسطه بالحمل، والقمر بالوسط بالأسد، وبهرام بأول السرطان. والعلويات على المقاربة بأول العقرب تاسع الحوت. قال الإمام أبو عبد الله الأوسي: وقد اختبرته فوجدته صحيحاً.

وقول من قال ولد في شهر أكتوبر، يوافق قول من قال ولد في شهر رمضان. وخرّج ابن إسحاق عن حسان بن ثابت، قال: «والله إني لغلام ابن سبع سنين إذ سمعت يهودياً يقول: يا معشر اليهود طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيـه». قال ابن إسحاق وكان سن حسان بن ثابت يوم قدومه عليه الصلاة والسّلام المدينة ستين سنة ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة. قال ابن عبد البر(3) عن الخوارزمي أن قدوم الفيل مكة كان

(1) بيـاض في الأصل.

(2) قال العلامة أبو الربيع سليمان بن موسى الكـلاعي في كتابه الاكتفاء المخطوط: وولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل: قيل بعد الفيل بخمسين يوماً وهذا التاريخ الذي ذكره الكلاعي في مولد الرسول ﷺ هو الذي يعمل به العالم الإسلامي في ذكرى المولد النبوي الشريف.

وجاء في كتاب المولد الشريف المسمى بالسّول في مولد الرسول ﷺ للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الهواري المدني المغربي الأندلسي الضرير: والصحيح أنه ﷺ ولد لعشر خلون من ربيع الأول. وهذا القول هوالذي عليه المعول، واتفقوا أن يوم الاثنين مختص بمولده ومبعثه ووفاته.

(3) في كتابه ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ جـ 1 ص 31.

لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم. قال وكان أوله بالجمعة فيكون صفر على هذا. أما أن يكون بالسبت أو بالأحد، ويكون ربيع الأول بالاثنين، لأن الولادة في الاثنين الثامن. وقال بعضهم ولد في ليلة الاثنين الثاني لشهر ربيع الأول. وهذا على أنه بالأحد. وعلى التقديرين يبعد أن يكون الثاني عشر منه الاثنين، لأن المحرم بالجمعة على ما قال الخوارزمي في نقل قول ابن عبد البر. وبعث ﷺ يوم الاثنين الثامن لشهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، وكان مولده إلى مبعثه أربعين سنة. ويوم واحد من مبعثه إلى أول المحرم سنة الهجرة اثنتا عشر سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً وهي ثلاثة وخمسون سنة تامة من عام الفيل ودخل المحرم سنة الهجرة بالجمعة وهو الثامن عشر من شهر توليته سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من تاريخ ذي القرنين. وقدم النبي ﷺ المدينة يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة، وقيل في الثاني عشر. وإنما رد التاريخ من المحرم لأنه أول شوال العام. وأول من وضع التاريخ العربي عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وتوفي ﷺ في ضحى يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشر من الهجرة، وقيل الثاني منه في نصف النهار. وقال الخوارزمي أول يوم منه. وقول من قال في ثاني الشهر من[1] ففي الاثنين ولد، وفي الاثنين بعث، وفي الاثنين قدم المدينة، وفي الاثنين توفي. وكل اثنين من هذه هو الثامن لشهر ربيع الأول. فأقام عليه الصلاة والسلام بعد مبعثه بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة. قاله ابن عباس وغيره. وقيل ابن ستين والأول أصح.

(1) بياض في الأصل.

الفصل الرابع

فيمن قام بحضانته عليه الصلاة والسّلام

اعلم أن أم النبي ﷺ، هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، لم يتزوج عبد الله غيرها. وكان وهب سيد قومه، وحملت به عليه الصلاة والسّلام حين وقع عليها. وذهب النور العظيم الذي كان بين عينيه. ولذلك قالت الكاهنة الراغبة فيه لا جاءت لي بك وما رغبت إلا لأجل ذلك النور[1] ولم يولد لعبد الله غيره فلا أخ له ولا أخت. وتوفي عبد الله قبل ولادته بيسير ودفن بالمدينة عند أخواله بني النجار وكان عمره نحو ثلاثين سنة. ولما ولد ﷺ تولته مولاة أبي لهب ثويبة[2] أياماً مع ابن لها من غيره، وأرضعت قبله حمزة عمه

(1) جاء في كتاب ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ ج 2 ص 7 «لما فرغ عبد المطلب من الإبل انصرف بابنه عبد الله وهو آخذ بيده فمر على أم قتال ابنة نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل وهي عند البيت. فقالت له حين نظرت إليه وإلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله فقال مع أبي قالت: لك عندي مثل الذي نحر عليك أبوك إلخ. وقيل مر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مرة متهوّدة «نفس المصدر».

(2) جاء في تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 9 ـ طبع بيروت ـ فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثُويبة مولاة أبي لهب. وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي. ومما جاء في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 28 :فكان رسول الله ﷺ يكرم ثويبة. وكانت تدخل على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج خديجة. وكانت خديجة تكرمها وأعتقها أبو لهب بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة. فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. فبلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسأل عن ابنها مسروح، وبلبنه أرضعته فقيل له قد مات. فسأل عن قرابتها فقيل لـه لم يبق منهم أحد.

وبعده أبا سلمة واسمه عبد الله بن الأسد زوج أم سلمة قبله[1]، وهو ابن عمته برة وأخوه من الرضاع. وكانت خديجة تكرم ثويبة. وكان ﷺ يبعث لها من المدينة بكسوة وصلة. ثم أرضعته حليمة السعدية سنتين وشهرين ورأت العجائب في مدة رضاعه. وكان ﷺ برّها. وحين وردت عليه يوم خيبر قام إليها وبسط لها رداءه وجلست عليه.

ولما ردته إلى أمه[2] بعد رضاعه حضنته أم أيمن[3] خادم أبيه عند أمه آمنة. وأم أيمن هذه اسمها بركة وابنها أيمن بن عبيد الأنصاري ومات شهيداً يوم حنين. وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة(*) رضي الله عنهما. قال ﷺ في زيد بن حارثة: إنه لمن أحب الناس إليَّ. وقال في أسامة ابنه إنه لمن أحب الناس إليَّ بعده. ولذلك كان يقال لأسامة الحب ابن الحب وأيمن أخو أسامة من أمه. والحجاج بن أيمن حفيدها. قال عبد الله بن عمر فيه لو رآه ﷺ لأحبه. وكانت أم أيمن مكرمة عند النبي ﷺ وكان يزورها. وقال أبو بكر لعمر بعد وفاة النبي ﷺ: هل لك في زيارة أم أيمن فقال نعم فمضيا إليها. ولما دخلا عليها بكت بكاءً شديداً وقالت إنما بكيت على إنقطاع الوحي فبكيا معها.

فصـل

وتوفيت أمه آمنة[3] وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابن ست سنين،

(1) أي قبل النبي ﷺ إذ تزوج النبي بأم سلمة بعد وفاة زوجها أبو سلمة عبد الله بن الأسد.

(2) هي حليمة بنت أبي ذؤيب بن الحارث السعدية أم النبي ﷺ من الرضاعة. وقد أعطى صاحب كتاب الاكتفاء المخطوط أبو الربيع سليمان الكلاعي البلنسي تفصيلاً مهماً في كتابه هذا عن مرضعة الرسول ﷺ حليمة السعدية.

(3) هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو. وهي أم أيمن غلبت عليها كنيتها. كنيّت بابنها أيمن بن عبيد وهي بعد أم أسامة بن زيد تزوجها زيد بن حارثة بعد عبيد الحبشي الاستيعاب في معرف الأصحاب لابن عبد البرج ج 4 ص 1793 (*)في أصل المخطوط كتب زيد بن حريثة.

(4) وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة توفيت بموضع يقال له الأبواء ما بين مكة والمدينة ولها من العمر ثلاثون سنة. تاريخ اليقعوبي ج 2 ص 10 طبع بيـروت.

وقيل ابن أربع سنين، وكفله بعدها جده عبد المطلب. وتوفي جده وهو ابن ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام وأوصى به عمه أبو طالب والد علي بن أبي طالب. ولما خرج في تجارة إلى أرض الشام أخرجه معه حفظاً عليه وسنّه اثنا عشر عاماً وشهران وعشرة أيام وخطروا على الراهب في طريقهم ونزل إليهم، وكان لا ينزل إلى أحد. وأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال هذا سيد العالمين ورسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال[1] أشياخ قريش من اعلمك بذلك. فقال إنكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً له، ولا يسجدان إلا لنبي. وحذرهم من اليهود وأمرهم برجوعه فرجع، وزودهم وأودعهم. وفي هذا الطريق أظلته الغمامة وتحول طول ظل الشمس إليه بعد أن وجد الناس جلوساً في ظلها ﷺ.

---

(1) في أصل المخطوط فقالوا.

الباب الثاني

في أزواجه عليه الصلاة والسلام وأولاده وقرابته ومواليه وخدمه وخواصه

الفصل الأول

في أزواجه عليه الصلاة والسّلام

وأزواجه عليه الصلاة والسلام المدخول بهن إحدى عشرة امرأة: خديجة بنت خويلد، وسويدة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزينب بنت خزيمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرة بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحارث الهلالية. وتوفيت خديجة وزينب في حياته عليه الصلاة والسلام، وتوفي هو عن تسع.

فصل

وأول أزواجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد[1]، ولم يتزوج عليها أحد حتى توفيت، وتزوجها بعد خمس وعشرين سنة من عمره، وسنها يومئذ أربعون سنة، ولها ولد من غيره اسمه هند بن أبي هالة. وخطبها له أبو طالب وقال هو من عرفتم. يريد أنه عليه الصلاة والسّلام كان أفضل قومه مروءة وخلقاً وأمانة وصدقاً. ولذلك يسمى الأمين. فتزوجها ﷺ،

(1) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ وكانت إذ تزوجها رسول الله ﷺ بنت أربعين سنة. فأقامت معه ﷺ أربعاً وعشرين سنةوتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر ـ كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ لابن عبد البر ج 4 ص 1817 — 1818.

وبقيت عنده بعد الوحي تسع سنين وثمانية أشهر. وهي أول من آمنت به، وبلغها جبريل عليه السلام سلام الباري جلَّ وعلا فقال: الرب يقرئك السلام. فقالت: الله السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام وهو ذو الجلال والإكرام وبشَّرها ببيت من قصب الزمرد. وقال النبي ﷺ: خير نساء العالمين أربعة: خديجة بنت خويلد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وفاطمة الزهراء ابنة محمد ﷺ، وفضلها مشهور وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة أشهر غير ثلاثة أيام وسنها خمس وستون سنة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة، سودة بنت زمعة[1] بعد وفاة السكران بن عمر عنها رضي الله عنه. ولا خلاف أنه بنى بها قبل بنائه بعائشة. واختلف هل عقد عليها قبل عقده على عائشة أو بعده. وكانت اسنت فهمّ ﷺ بطلاقها، فقالت لا تطلقني، فإني أريد أن أحشر في أزواجك وقد وهبت يومي لعائشة. وكانت سودة[2] تضحك النبي ﷺ. فقالت له قمت يوماً خلفك يا رسول الله في الصلاة، فأطلت[3] الركوع حتى استددت أنفي خوف أن يقطر بالدم. فضحك النبي ﷺ وتوفيت في خلافة عمر وهو الذي بعث إليها بغرارة دراهم ففرقتها.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ عائشة[4] وهي بنت ست سنين وذلك قبل

(1) هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، توفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) في أصل المخطوط سودا (بالألف).

(3) في أصل المخطوط فطلت.

(4) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس =

الهجرة بسنتين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين في سنة الهجرة، وأقام معها تسع سنين، فكانت يوم وفاته عليه الصلاة والسّلام بنت ثماني عشرة سنة وكان أصدقها أربعمائة درهم. ومثل ذلك كان صداق سودة بنت زمعة ولم ينكح بكراً غيرها وكانت أعلم الناس بالفقه والطب والحساب والفرائض والشعر. وقال ﷺ: خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء. وقال أيضاً: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. قال العلماء قال السهيلي: لا يطلق لفظ الثريد إلا إذا كان باللحم. وفي الحديث سيد آدام الدنيا والآخرة اللحم. وأجمع الناس على فضل بنت رسول الله ﷺ، وفضلها عمر بالفرض. فإنه فرض لها النبي إثنا عشر ألفاً، وفرض لكل واحدة من أمهات المؤمنين عشرة آلاف. وكانت إذا ذكرت يوم الجمل حين وقفت مع من ضارب علياً في دم عثمان بكت، وزادت حتى تبل خمارها وتقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[1] وتقول يا ليتني كنت ورقة من ورق الشجر. وبعث إليها عبد الله بن الزبير بغرارتين مملوءتين بالدراهم، ففرقت ذلك كله من ساعتها، وكانت تصوم، وكانت تفتي بالعلم، ويسألها أكابر الصحابة، ودامت في الفُتيا مدة تقرب من خمسين لأنها توفيت سنة سبع وخمسين من الهجرة، وصلى عليها أبو هريرة وأمرت أن تدفن بالبقيع خارج المدينة، ومنعت أن تدفن مع رسول الله ﷺ، وقالت خلطت بعده.

وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة. الإستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1883 وجاء في كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء أن خولة بنت حكيم أمرأة عثمان بن مظعون أتت النبي عليه الصلاة والسّلام بعد موت خديجة رضي الله عنها. فقالت يا رسول الله إني أراك قد دخلك خلة لفقد خديجة. قال: أجل أم العيال وربة البيت. فقالت ألا تتزوج، فقال وممن فقالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيبا. فقال ومن البكر فقالت بنت أحب الخلق البكر عائشة بنت أبي بكر. قال فمن الثيب. فقالت سودة بنت زمعة وقد آمنت واتبعت الذي أنت عليه. وكتاب الاكتفاء هذا كتاب مخطوط نفيس للإمام أبي مروان عبد الملك بن أبي القاسم بن الكردبوس التوزري.

(1) سورة الأحزاب: الآية: 33.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه شقيقةعبد الله بن عمر سنة ثلاث من الهجرة، وأصدقها أربعمائة درهم، وطلقها النبي ﷺ لشدة في خلقها طلقة، وبكى عمر لذلك، وجعل التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر بعد هذا اليوم. فنزل جبريل عليه السّلام وقال يا محمد الرب جلّ وعلا يأمرك بردّ حفصة رحمة بأبيها فردها بأمر الله. وأخبره أنها من أزواجه في الجنة. وكانت ولادتها قبل المبعث لخمس سنين. وتوفيت سنة خمس وأربعين من الهجرة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة[1] ابن حارث الهلالية العامرية، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لخدمتها إياهم، كانت تحت عبدالله بن جحش قتل عنها يوم أحد ودفن مع حمزة. وتوفيت في حياته عليه الصلاة والسّلام سنة خمس من الهجرة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان[2] أخت معاوية التي

(1) في أصل المخطوط زينب بنت جحش بن خزيمة. وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1853 هي زينب بنت خزيمة. ونفس الشيء كذلك في تاريخ اليعقوبي جـ 2 ص 84. وفي سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدا والمبعث والمغازي ص 241. طبع فاس بالمغرب، زينب بنت خزيمة. وقد وقع خلط بين زينب بنت خزيمة وزينب بنت جحش في المخطوط ولعله من سهو الناسخ وقد تداركته.

(2) أم حبيبة زوج النبي ﷺ. اختلف في اسمها فقيل رملة وقيل هند. والمشهور رملة وهوالصحيح عند جمهور أهل العلم بالنسب والسير والحديث والخبر. وتوفيت أم حبيبة سنة أربعة وأربعين، ولم يختلفوا في وقت وفاتها. الاستيعاب لابن عبد البر ج. 4 ص 1843 وص1929.

أسلمت قبل أخيها وأبيها. وهاجرت إلى أرض الحبشة، وخطبها له النجاشي ملك الحبشة. فكتب رسول الله ﷺ فأجابته ووكلته، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وأطعم عليها. وقال: الطعام على التزويج من سنة الأنبياء، وذلك في سنة ست من الهجرة. وبنى بها سنة سبع. وبقيت إلى سنة أربع وأربعين من الهجرة ورد عليها أبوها أبو سفيان في المدينة قب إسلامه. فلما دخل عليها طوت فراش النبي ﷺ. فقال لها ما هذا فقالت إنك مشرك، والمشركون نجس.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش[1] وهي أم الحكم سنة خمس من الهجرة وأصدقها أربعمائة دينار. وكانت عند زيد بن حارثة. وهي بنت عمه عليه الصلاة والسلام، إلا أن أمها أميمة بنت عبد المطلب. ولما خطبها رسول الله ﷺ قالت أو أمر ربي وقامت إلى مسجدها فأنزل الله نكاحها في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾[2] فدخل رسول الله ﷺ بغير إذن. وكانت تفتخر على أمهات المؤمنين بذلك، وتقول إن الله أنكحني إياه من فوق سبع سماوات. وقال ﷺ: زينب أوّاهة. فقال عمر: ما الأواهة يا رسول الله؟ فقال: الخاشع المتضرع. وقالت عائشة: لم تكن امرأة خير منها في الدين والصدقة، وهي أول أزواجه لحوقاً به عليه الصلاة والسلام.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ جويرية[3] وأصدقها أربعمائة درهم وكانت جميلة عليها حلاوة وملاحة. وتوفيت سنة خمس وستين.

---

(1) هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر. توفيت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده ولحوقاً به ﷺ

(2) سورة الأحزاب: الآية: 37.

(3) هي جويرية واسمها برّة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب المصطلقية من خزاعة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت[1] حيي بن أخطب من ولد هارون عليه السلام في سنة سبع من الهجرة، وهي بنت سبع عشرة سنة. ولما ملكها رسول الله ﷺ حجبها وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وذلك خصوصاً به. وقيل كان ونسخ. ولما بنى بها رسول الله ﷺ جاءت نساء الأنصار ينظرن إليها، وعائشة فيهن متنقبة فعرفها رسول الله ﷺ. فلما خرجت خرج وراءها فحبسها وقال لها: كيف رأيت؟ وكانت صفية عاقلة. اذتها مملوكة لها فأعتقتها. وتوفيت صفية سنة خمسين من الهجرة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية[2] وكانت أختها أم الفضل عند العباس. وهي أم عبد الله بن العباس وأخته، وأختها لبابة أم خالد بن الوليد. وجاء عن شهاب أن ميمونة هي التي وهبت نفسها للنبيء ونزل فيها قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىءِ ﴾[3] والسبب أن رسول الله ﷺ خطبها وهي راكبة على بعيرها. فقالت للذي جاءها البعير وما عليه لله ورسوله، وذلك في سنة سبع من الهجرة.

فصل

وتزوج رسول الله ﷺ[4] خويلة الثعلبية، وتوفيت قبل البناء بها.

(1) هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة من سبط هارون النبي. توفيت في زمن معاوية سنة خمسين من الهجرة.

(2) هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال. تزوج بها النبي ﷺ في السنة السابعة للهجرة بعد صلح الحديبية. وكانت ذكية الفؤاد قوية الإيمان بدعوة الإسلام. وقد عمرت السيدة ميمونة بعد رسول الله خمسين عاماً حتى وافاها أجلها وأوصت أن تدفن في قرية سرف حيث بنى بها النبي ﷺ كتاب أضواء تاريخية على أسرة النبي ﷺ وأهل البيت. ص 74 — 75 للأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم. طبع مصر.

(3) سورة الأحزاب: الآية: 50.

(4) جعل المؤلف خويلة الثعلبية هي المرأة الحادية عشر مع أنه لم يذكرها سابقاً، وإنما ذكر أم =

وكذلك عمرة بنت يزيد[1] وكذلك امرأة من عُمان. وكذلك أخرى تميمية. وخطب إلى رجل ابنته فاعتذر له أن بها برصاً. ولم يكن بها برص فلما انصرف إلى بيته وجد بها برصاً، وخير امرأة بعد أن تزوجها فاختارت نفسها فشفيت.

= سلمة بنت أبي أمية وذلك في الفصل الأول في أزواجه عليه الصلاة والسلام المدخول بهن وأم سلمة هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسمه حذيفة يعرف بزاد الراكب. تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت سنة تسع وخمسين من الهجرة.

أما خويلة الثعلبية، فهي خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث تزوجها رسول الله ﷺ فيما ذكر الجرجاني النسابة فهلكت في الطريق قبل وصولها إليه الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1834

(1) جاء في سيرة ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ تزوج أسماء بنت كعب الجونية ولم يدخل بها حتى طلقها. وتزوج عمرة بنت يزيد إحدى نساء بني كلاب وطلقها قبل أن يدخل بها إلى غير ذلك. ص 248 من سيرة ابن إسحاق طبع فاس. تحقيق وتعليق محمد حميد الله. نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

الفصل الثاني

في أولاده عليه الصلاة والسّلام

واعلم أنه لم يكن لرسول الله ﷺ ولد إلا من خديجة عليها السّلام سوى ولده إبراهيم عليه السلام، فإنه ولد مارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية في هدية بعثها إليه. ولم تحمل واحدة من نسائه سوى عائشة وأسقطت له جنيناً واحداً خاصة. فولدت خديجة القاسم وبه كان يكنى عليه الصلاة والسّلام. ثم الطيب، ثم الطاهر، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، عليهم السّلام. هذا هو الصحيح. وقيل أم كلثوم أصغر من فاطمة. ومات ذكور أولاده عليه الصلاة والسّلام من خديجة صغاراً وقيل لم يمت القاسم حتى ركب الدابة. ولا خلاف أن موت الطيب والطاهر قبل البعث. واختلف في القاسم قيل مات بعد بعثه. وقيل قبل ذلك. ووجدت عليه خديجة وجداً شديداً. فدخل عليها رسول الله ﷺ وهي تبكي عليه. فقال لها إن شئت اسمعُكِ صوته في الجنة. فقالت صدق الله ورسوله. ووُلد له إبراهيم عليه السّلام في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة. وقال ولد لي الليلة غلام وسميته باسم أبي إبراهيم. ثم دفعه إلى أم سفيان ترضعه. وكان ﷺ ينطلق فيدخل البيت ويأخذه ويقبله ثم يرجع وتوفي سنة عشرين من الهجرة في يوم كسفت الشمس فيه. وقال: إن الشمس والقمر آيتان لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة.

وبكى ﷺ بغير صوت. وقال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب. وقال أنس لم يكن ليبقى لأن نبيكـم أحد الأنبياء. يريد أن ابن النبي نبي وضعف، لأن آدم نبي وما في ولده لصلبه نبي غير شيث. وماتت أمه مارية بعد وفاة النبي ﷺ بخمس سنين.

فصـل

وبناته ﷺ كلهن أدركن الإسلام في صغرهن وهاجرن. وأكبر بناته زينب ولدت له عليه الـصلاة والسّلام وسنه عليه السّلام ثلاثون وكان يحبها. وخطبها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى وهو ابن خالتها فإن أمه هالة بنت خويلد شقيقة خديجة فزوّجها له عليه السّلام لنظر خديجة وذلك قبل الوحي. ولما بعث ﷺ ثبت أبو العاص زوج زينب على شركه وهاجرت زينب وتركته بمكة. وشهد بدراً مع المشـركين وأخـذ أسيراً، وافتداه أخوه عمر بقلادة كانت لزينب. وأخذ أسيراً مرة أخرى وأطلقته زينب. وقال لها ﷺ «أكرمي مثواه ولا تقربيه فإنه لا يحل لك». ثم قدم المدينة بعد ذلك وحسن إسلامه. وردها عليه النبي ﷺ وتوفيت سنة ثمان من الهجرة. واختلف في أيهما أسن هي أو أخوها القاسم. فقيل أول ما ولـدت خديجـة زينب ثم القاسم وقيـل بعكسه[1] وتـوفي زوجها أبـو العاصي بن الربيع في ذي الحجة من عام اثني عشر من الهجرة، وترك منها ابنة اسمها أمامة، وهي التي كان النبي ﷺ يحملها في الصلاة. وتزوج علي بن أبي طالب أمامة هذه بوصية فاطمة. وكان أبوها أوصى بها إلى الزبير بن العوام فزوجها منه الزبير. وقال لها علي عند وفاته: لآمن أن

(1) كان أول من ولد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى. ثم ولدت له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم وُلـد له في الإسلام عبد الله فسمّي الطيب الطاهر وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد. ثم ولدت له ﷺ ماريـة القبطيـة إبراهيم، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائـل والسير ج 2 ص 364 وص 367 طبـع بيروت.

يخطبك هذا الطاغية يعني معاوية، فإن كان لك ارب في الرجال فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل. ولما انقضت عدتها من علي بعث إليها معاوية يخطبها وبذل لها ألف دينار فأبت وتزوجت المغيرة. وكان وليها ابن خالتها الحسن بن علي رضي الله عنه، وولد للمغيرة يحيى بن المغيرة.

فصل

وتزوج عثمان بن عفان[1] رضي الله عنه رقية بنت النبي ﷺ وولدت له وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وكانت تحت عتبة بن أبي لهب وفارقها قبل البناء بأمر أبيه حين نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[2] ودعا عليه النبي ﷺ فقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فاختطفه الأسد في السفر من بين التجار فأكله، وله عقب. وكانت رقية أجمل النساء وشكت بعثمان مرة. فقال لها عليه الصلاة والسّلام: ما أحب للمرأة أن تكثر شكاية بعلها انصرفي إلى بيتك. وتوفيت في شهر رمضان السنة الثالثة من الهجرة. وعرض عليه عمر بن الخطاب ابنته حفصة فسكت عنه. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: يتزوج عثمان من هو خير منها، وتتزوج حفصة من هو خير من عثمان. فتزوج رسول الله ﷺ حفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ في السنة الثالثة بعد الهجرة. وكانت تحت عتيبة بن أبي لهب وفارقها قبل البناء بأمر أبيه كأخيه وأمها حمالة الحطب وأسلم عتبة ومعتب عام الفتح. وتوفيت في السنة التاسعة بعد الهجرة. ولذلك يقال له ذي

---

(1) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هو ثالث الخلفاء الراشدين. كان نهاية في الجود والكرم والسماحة، وأخباره معلومة ومشهورة. راجع كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ج 2 ص 331 وما بعدها وغير ذلك من الكتب التاريخية.

قال زين الدين عمر بن الوردي في كتابه ـ تتمة المختصر في أخبار البشر ـ تاريخ ابن الوردي، ج 1 ص 229 وفي خلافة عثمان رضي الله عنه فتحت افريقية بتولي عبد الله بن أبي سرح أخ عثمان من الرضاعة.

(2) سورة المسد: الآية: 1.

النورين وقال له رسول الله ﷺ: «لو كانت عندي أخرى لزوجتها لك». وقال نعم الصهر عثمان. وكان تزويجه لأم كلثوم بأمر من الله تعالى جاء به جبريل ووقف عند باب المسجد حتى بلغ ذلك.

فصل

وأما سيدة النساء بنته فاطمة ﷺ، فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة وهي بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف شهر. وعلي يومئذ ابن إحدى وعشرين سنة وشهر. وبنى بها لتسعة أشهر ونصف شهر من يوم العقد، وأصدقها أربعمائة دينار. وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وشكت بعلي. فقال لها ﷺ: اقنعي بابن عمك فقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة. وتوفيت فاطمة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ. واختلف كم بقيت بعده، قيل ستة أشهر، وقيل غير ذلك. ولم يتزوج علي عليها امرأة حتى توفيت.

الفصل الثالث
في قرابته عليه الصلاة والسّلام

والمراد العمومة والعمّات، ولا قرابة له من أمه، فإنه لم يكن لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي ﷺ، ولا أخت فتكون خالة له. قال ابن قتيبة: الزهريون يقولون نحن أخوال له لما كانت أمه منهم. وبنو النجار أخوال أبيه عليه الصلاة والسّلام وأم أمه اسمها برّة.

فصل

وأما عمومته ﷺ، فكانوا بنو عبد المطلب والزبير وحجل وضرار ومقوم وأبو لهب وأبو طالب وعبد الله وحمزة والعباس. فعمومته تسعة، أصغرهم سناً العباس وأكبرهم الحارث ومن ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة. وأما الزبير بن عبد المطلب فمن ولده عبد الله رضي الله عنه، ومات شهيداً ووجد بإزائه سبعة قتلهم وقتلوه ولا عقب له وأخته ضباعة لها صحبة وكانت تحت المقداد بن الأسود. وأما حجل (بالجيم والحاء المهملة الساكنة) وقيل بالعكس فهو شقيق حمزة وكان ضعيفاً كريماً وأما ضرار فلم يرد الإسلام ولا عقب له، وكذلك المقوم وأما أبو لهب فاسمه عبد العزى وكان حسن الوجه أحول ومات بمكة مشركاً وولد عتبة وعتيبة ومعتب، وبني بأمهم جميلة بنت حرب بن أمية حمالة الحطب[1] أخت أبي

(1) هي التي نزلت فيها هي وزوجها أبو لهب سورة المسد الآية: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾.

سفيان عمة معاوية من أبيه. وعتبة هو الذي فارق رقية بأمر أبيه ومات كافراً وعتيبة هو الذي فارق أم كلثوم أختها بأمر أبيه أيضاً وأسلم بعد ذلك، وكله قبل البناء وقد تقدم ذلك. وأما معتب فاسلم وشهد حنيناً وله عقب كثير.

وأما العباس بن عبد المطلب فهو أسن من النبي ﷺ بثلاث سنين، وأسلم وكتم إسلامه وظهر يوم الفتح وبه توسّل له عمر في الاستسقاء فقال: اللهم هذا عم نبيك ونحن نتوسل به إليك الا ما أمطرتنا فنزل المطر. وتوفي في خلافة عثمان ودفن بالبقيع. وأما حمزة بن عبد المطلب، فهو أسد الله ورسوله، وهو أبو يعلى كناية له (كنّي بابنه يعلى وهو أخو النبي ﷺ من الرضاع) وأسلم قديماً وشهد بدراً، واستشهد يوم أحد في السنة الثالثة من الهجرة، وخلّف ابنه يعلى وابنة واحدة. وترك يعلى خمسة من الذكور ثم انقرضوا عن غير عقب. وكان يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ثم عثر ووقع وطعن. وبكى ﷺ حين رآه قتيلاً ودفن في ثيابه، ودفن مع عبد الله بن جحش. ولما مثّل به قال رسول الله ﷺ: «لئن ظفرت بقريش لأمثلنّ بثلاثين منهم» فأنزل الله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾[1]

وأما أبو طالب واسمه عبد مناف فهو شقيق عبد الله والد المصطفى ﷺ وولد لأبي طالب علي بن أبي طالب وجعفر وعقيل وأم هاني وحبابة، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم[2] وأسلمت. ولما توفيت نزل النبي ﷺ في قبرها واضطجع فيه لتحصل البركة، ودفع ثوباً من ثيابه

(1) سورة النحل: الآية: 126.

(2) زوجة أبي طالب وأم أولاده جميعاً وهي التي ربت رسول الله ﷺ. ويروى عن رسول الله لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة أنه قال: اليوم ماتت أمّي وكفنها بقميصه ونزل على قبرها واضطجع في لحدها. فقيل له: يا رسول الله لقد اشتد جزعك على فاطمة قال: إنها كانت أمي، إن كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعّثهم وتدهنني، وكانت أمي. تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 14.

لتكفن فيه. وكان طالباً أسن من عقيل بعشر سنين وجعفر اسن من علي بعشر سنين وكلهم أسلموا إلاطالباً فإنه كان يذب على النبي ﷺ ولم يحضر بدراً مع المشركين. وقيل ذهب في الأرض ولم يدركه خبر ومات أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة أشهر قبل موت خديجة بثلاثة أيام فهؤلاء أعمامه ﷺ أسلم منهم غير العباس وحمزة، وقيل أبو طالب وهو ضعيف.

فصل

وأما عماته ﷺ، فبنات عبد المطلب ستة: أميمة وأم حكيم وبرّة وعاتكة وأروى وصفية. ولم يختلف في إسلام صفية وهي أم الزبير بن العوام وعاشت طويلاً وتوفيت سنة عشرين في أيام عمر بن الخطاب وهي بنت ثلاث وسبعين سنة. وأما أروى فالصحيح أنها أسلمت وبها بدأ ابن عبد البر[1] في كتاب النساء من الصحابة وهي أم طليب بن عمير رضي الله عنها وهو الذي لم يزل بأمه حتى أسلمت. وقال ابن إسحاق: لم يسلم من عماته غير صفية. وأما عاتكة فالصحيح أنها لم تسلم وقيل أسلمت. وأما بـرة (بفتح البـاء) فهي أم أبي سلمة[2] زوج أم سلمة[3]

(1) في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب في الجزء الرابع منه ذكر كتاب النساء وكنّا هن ص 1778

(2) هو أبو سلمة عبد الله بن الأسد المخزومي الذي استجار بخاله أبي طالب حين أرادت قريش أن تفتنه عن إسلامه

(3) أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة وقد سبقت الإشارة إليها كانت زوجة لعبد الله بن الأسد المخزومي وهو ابن عمة النبي برة بنت عبد المطلب، وقد هاجر معها إلى الحبشة مع أوائل المهاجرين إليها وانجبت له ابنه سلمة. وفي المدينة مات زوجها فحزنت عليه حزناً شديداً، وانطوت على نفسها وعلى بناتها الثلاث وابنها سلمة تتعهدهم وترعاهم قدر استطاعتها ولما علم الصحابة بما قاسته أم سلمة من العناء والعذاب تقدم أبو بكر لخطبتها، فاعتذرت بتقدم سنها وكثرة أولادها وبشدة غيرتها ثم خطبها النبي لنفسه اشفاقاً عليها وقال لها: رضيت بك يا أم سلمة وسأتعهد أولادك بمحبتي ورعايتي. وأما غيرتك فيذهبها الله. وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه، يرى أن الزواج من أمثال أم سلمة =

أسلمت[1] . وأما أم حكيم يقال لها البيضاء، ويقال لها الديباج لجمالها، فهي جدة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعمر بن كريز رضي الله عنه ولدها وأسلم يوم الفتح وهو والد عبد الله بن عباس الذي ولّاه عثمان بن عفان العراق وخراسان. وأما أميمة فكانت عند جحش بن دياب أم المؤمنين وقد تقدمت. وفي الخبر قال رسول الله ﷺ: أنا ابن العواتك فقيل بالرضاع وقيل بالولادة. وأما اللواتي في الرضاع فثلاث نسوة من سُليم أرضعنه تسمى كل واحدة عاتكة. وأما التي ولدناه فعاتكة بنت مرة بن هلال بن هاشم، وعاتكة بنت هلال المذكورة أم عبد مناف، وعاتكة بنت الأرقم بن مرة المذكورة أم وهب والد آمنة أمه عليه الصلاة والسّلام، وعاتكة أم عبد مناف عمة عاتكة أم هاشم، وعاتكة أم هاشم هي عاتكة أم وهب فتأمله.

= المؤمنات المجاهدات الصابرات مهما تقدم بهن السن واجباً إنسانياً لتخفيف قسوة الحياة عنهن. وتم الزواج وعاشت أم سلمة عزيزة الجانب في رعاية النبي وعطفه وفي وئام واحترام بين زوجاته، لأنها كانت ذات رأي صائب وعقل راجح ونظر بعيد في كل الأمور وظهرت هذه الخصال في كثير من المواقف التي كان منها موقف تحكم قريش في عدم دخول النبي مكة للعمرة وأرجائها إلى العام القادم، وتشبث المسلمين وإصرارهم على الدخول بالقوة مهما كلفهم الأمر. وتحرج الموقف بين النبي وأصحابه لاختلافهم في الرأي. وأخبر النبي بذلك أم سلمة، فأشارت عليه أن يحل من احرامه بالعمرة ويحلق رأسه دون مناقشة معهم. ففعل ذلك مقتنعاً بوجهة نظرها. فلم يجد اتباع النبي بداً من متابعته فيما فعل. ومرت العاصفة بدون حرب وإراقة دماء ـ ص 69 - 70 ـ من كتاب أضواء تاريخية على أسرة النبي ﷺ وأهل البيت للأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم.

(1) حذف بعض كلمات لعدم تناسقها مع سياق الكلام.

الفصل الرابع

في مواليه وخدمه عليه الصلاة والسّلام

أما مواليه عليه الصلاة والسلام وممالكه، فمن الذكور نحو عشرين أفضلهم وأشهرهم زيد بن حارثة بن شرحبيل، اشتراه حكيم بن حزام وأهداه لعمته خديجة بنت خويلد وذلك قبل النبوة فوهبته للنبي ﷺ وحكيم بن حزام هذا هو الذي انفرد بولادته في جوف الكعبة في جملة نساء وهي حامل فأصابها المخاض فولدت فيها فأسلم عام الفتح وعاش مائة وعشرين نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام. واعتق في حجة حجّها بعرفة مائة رقبة، وأهدى مائة بدنة[1] وألف شاة، وقدم حارثة والد زيد بن حارثة على مكة برسم فدائه وتلطف بالقول. فقال ﷺ: خيّروه فإن اختاركم فهو لكم. فأبى وقال لا أختار عليك أحداً أبداً فخرج به رسول الله ﷺ إلى خلق من قريش وهو ابن ثمان سنين، وقال هذا ابني وارثاً وموروثاً، وكان يدعي زيد بن محمد. وجاءت النبوة ولم يزل يدعى بذلك حتى نزلت ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَآءِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [2] ويقال له حِبُّ رسول الله ﷺ. وهو أول من أسلم. قال بعضهم إنه أسلم قبل أبي بكر، وتزوج زيداً أم أيمن خادم رسول الله ﷺ وتزيّد له منها أسامة. وكان سنه يوم توفي رسول الله ﷺ عشرين سنة. وتوفي زيد سنة ثمان من الهجرة شهيداً بأرض الشام وهو

(1) البدنة تطلق على الناقة والبقرة. وزاد الأزهري انها تطلق على البعير الذكر وقال بعض الأئمة (البدنة) هي الإبل خاصة ـ المصباح المنير ج 1 ص 45 ـ لأحمد الفيومي طبع مصر.

(2) سورة الأحزاب: الآية: 5.

أمير هذه الغزوة. وفيه قال النبي ﷺ: إن أصيب زيد فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة. قال الليث بـن سعد بلغـني أن زيداً بن حارثة اكترى من رجل بغلاً وخرج معه فمال به الكاري إلى خربة ليقتله. فقال دعني أصلي ركعتين. فلما قرب منه ليقتله، قال يا ارحم الـراحمـين فسمـع الكاري صوتاً وهو يقول لا تقتله. فخرج ينظر فلم يجد أحداً هكذا ثلاث مرات. وفي الثالثة جاء راكباً على فرس بيده حربة في رأسها شبه شعلة من نار فضربه بها وقال لزيد في الدعوة الأولى كنت في السماء السابعة، وفي الثانية في سماء الدنيا، وفي الثالثة بلغتك وهذه من بركة النبي ﷺ

ومن مواليه ﷺ أبو رافع. وكان للعباس بن عبد المطلب وهبـه للنبي ﷺ. ولما أسلم العباس بشره أبو رافع فاعتقه ﷺ ومنهم: رافع، وفضالة، ورباح، ويسار[1]، وأسد. وكان يؤذن على النبي ﷺ، ومعناه يعلمه بمن يريد الدخول عليه. ومن مواليه: ثوبان، وشقران، وأبو[2] وأبو بكرة الشعبي، وأبو لباب وأبو كبشة وسفينة رضي الله عنهم. ومن النساء: مارية[3] أم ولده إبراهيم عليه السّلام وهي قابلة فـاطمة في أولادها الحسن والحسين وغيرهما. ومن مـواليه أم أيمن وميمـونة الأولى والثانية.

(1) هو زيد أبو يسار مولى رسول الله ﷺ، سمع النبي ﷺ في الاستغفار. روى حديثه ابنه يسار بن زيد. وليسار بن زيد ابن يسمى بلالاً روى عن أبيه يسار عن جده زيد أنه سمع النبي ﷺ يقول: من قال استغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفِرَ لَهُ ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 559-560.

(2) بياض في أصل المخطوط.

(3) هي مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم، وهي مارية بنت شمعون أهداها له المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية ومصر وأهدى معها أختها سيرين. فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان. توفيت مارية في خلافة عمر بن الخطاب سنة ست عشرة من الهجرة ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1912.

فصــل

ومن خدمه من الأحرار: انس بن مالك[1] خدمه عشر سنين. وابتدأ خدمته وهو ابن عشر سنين ودعا له بطول العمر وبالزيادة في المال والولد فكان كذلك. وخدمه قيس بن عبادة[2]، دفعه له أبوه غلام وكان بين يديه كالشرطي بين يدي الأمير.

وخدمه هند[3] بن حارثة وأخوه أسما وهما ذكران ووهم من قال امرأتان. وخــدمه أبــو ذر[4] وأسلم بعد ثــلاثة، وخــدمه الحبشي أخــو النجاشي، وخدمه بلال بن حمامة[5] وسعد مولى أبي بكر. وكان عبد الله بن مسعود[6] صاحب نعليه يلبسهما إياه إذا قام ويحملهما إذا جلس. وخدمه عبــدالله بن زمعــة[7] وكــان يــأذنُ عــلى النـبي ﷺ وكــان عـقبــة

(1) هـو انس بن مـالـك بن النضـر بن ضمضم الأنصـاري خــادم رسـول الله ﷺ لازم رسول الله ﷺ في الحضر والسفر مدة عشر سنوات وقد عمّر طويلاً.

(2) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي. يعد من كرام أصحاب رسول الله ﷺ واسخيائهم ودهاتهم. توفي سنة ستين من الهجرة في آخر خلافة معاوية ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1289 - 1290

(3) هو هند بن حارثة بن هند الأسلمي. قال أبو هريرة: ما كنت أرى أسما وهند ابني حارثة إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول لزومهما بابه وخدمتهما إليه ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1544

(4) أبو ذر الغفاري وهو جندب بن جنادة بن قيس بن غفار. كان من كبار الصحابة قديم الإسلام. يقال أسلم بعد أربعة فكان خامساً. الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1652 وما بعدها.

(5) هو بلال بن رباح المؤذن مولى أبي بكـر الصديق اشتـراه ثم أعتقه كـان بلال أميناً لرسول الله ﷺ على نفقاته. وقد شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ.

(6) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن هذيل بن خزيمة. كان إسلامه قديماً في أول الإسلام. كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، وكان يقوم بنعـلي رسول الله إذا قام ألبسهما له ويمشي أمامه. شهد بدراً والحديبية، وهاجر الهجرتين جميعاً: الأولى إلى أرض الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة. شهد له رسول الله ﷺ بالجنة. توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين من الهجرة ودفن بالبقيع ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 987 ـ وما بعدها.

(7) هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أمه قريبة بنت أبي أمية أخت أم سلمـة أم المؤمنين كان من أشراف قريش وكان يأذن على النبي ﷺ ـ الاستيعاب لابن عبر البر ج 3 ص 910 - 911.

ابن عامر[1] صاحب بغلته يقود به في الأسفار. وكان أبو أيوب صاحب رحله. وخدمه ربيعة بن كعب الأسلمي[2] ولزمه في الحضر والسفر وهو الذي سأله مرافقته في الجنة. فقال علي: أعنى على نفسك بكثرة السجود. وعمر بعده فإنه توفي سنة ثلاث وستين بعد الهجرة.

(1) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني من جهينة بن زيد. كان صاحب بغلة رسول الله ﷺ يتعهدها ويقودها في الأسفار.
(2) هو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمي.

الفصل الخامس
في خواصه ﷺ

ولنقتصر على المشاهير من الخواص. فإن مبلغ عددهم مائة ألف وأربعة عشر ألفاً. ذكر ذلك أبو الملاح رحمه الله تعالى. فمن خواصه ﷺ العشرة المشهود لهم بالجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح.

وللحافظ أبو الطاهر السلفي[1] في جمعهم:

لقد بشرت بعد النبي محمداً   بجنة عدن زمرة رفقاء
سعيد وسعد والزبير وطلحة   وعامر والزهري والخلفاء

فصل

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن أبي عامر. وفي مرة وهو الجد السادس منه يلتقي مع رسول الله ﷺ، وأمه سلمى بنت عم أبيه وكانت ولادته بعد سنتين وأربعة أشهر من قدوم الفيل. وهو أول من أسلم من الرجال. وأسلم أبوه عام الفتح وسنّه يقرب من المائة وقد كف بصره ومات أبو بكر في حياته وأعاد السدد على أولاده،

(1) هو العالم المحدث الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي (بكسر السين) الأصبهاني نزيل الاسكندرية والمتوفي بها سنة 576 هـ.

وذلك يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الأخير ثلاث عشرة، وسنه ثلاث وستون سنة. وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال. وهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ

فصل

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يلتقي مع رسول الله ﷺ في كعب وهو السابع منه، وأسلم بعد تسعة وثلاثين رجلاً وأعزَّ الله به الإسلام[1] وهو أفضل الناس بعد أبي بكر وهو قاضٍ بالمدينة ولّاه أبو بكر لشغله بغير ذلك، وتوفي شهيداً في آخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين ـ من الهجرة ـ وسنّه خمس وخمسون سنة قتله فيروز الكافر مملوك المغيرة وحمداً لله الذي لم يجعل قتله على يد مسلم. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر من يوم توفي أبو بكر بعده. وقاضيه شريح القاضي وفي أيامه فتح الشام، وأمير الجيش ـ كان ـ خالد بن الوليد. وترك الأمر شورى في يد عثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص

(1) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. ذكر أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال. قال لنا عمر بن الخطاب أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي. قلنا نعم قال: كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينما أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من بعض قريش فقال لي: أين تذهب يا بن الخطاب. أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك قال: قلت وما ذاك قال اختك قد صبت. ذهب إلى أخته وقال لها: يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صبوت قال فارفع شيئاً في يدي فاضربها به قال: فسال الدم قال فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت: يا بن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت. قال فنظرت فإذا بكتاب في ناحية فقلت ما هذا الكتاب؟ أعطنيه فقالت لا أعطيك لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه فإذا فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. سبّح للّه ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ سورة الصّف: الآية: 1. قال فقلت أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. عيون الأثر ج 1 ص 151 وما بعدها بتصرف قليل.

فصل

عثمان بن عفان رضي الله عنه: يلتقي مع رسول الله ﷺ في عبد مناف وهو الجد الخامس منه، وولد في السنة السادسة من عام الفيل، ووُلي بعد عمر ومات في ذي الحجة عام خمسة وثلاثين ـ من الهجرة ـ قتلته أشرار من عامة الناس، ومدته اثنا عشرة سنة إلا اثنتا عشر يوماً وكان سنّه يوم ولي تسعاً وستين سنة. وفي أيامه فتح افريقية[1] وما وراءها

فصل

علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هو ابن عم النبي ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنهما. بويع البيعة التامة يوم موت عثمان بن عفان. وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام. وقتل[2] بالكوفة في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قتله عبد الرحمن بن ملجم برأيه الذي كان سبباً في شقائه[3] وكان قاضيه شريح، وكاتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ. وكان حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر وكانت له السيادة العالية.

فصل

طلحة بن عبد الله:

وهو طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض وكثير الصدقة وكثير الفضائل، وكان يقي بنفسه رسول الله ﷺ في الحرب. وقتل بسيفه يوم

---

(1) (المعروفة الآن بتونس).

(2) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ج ـ 3 ـ ص 1089 وما بعدها ترجمة وافية للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأورد قصة استشهاده. فليراجع من رغب التوسع في ذلك.

(3) قال ـ في قاتل علي ابن ملجم الشقي ـ الشاعر بكر بن حماد التاهرتي الجزائري:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأوّل الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سنّ الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبُه نوراً وبرهانا

إلى آخر القصيدة. الاستيعاب ج ـ 3 ـ ص 1128.

الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وسنّه ستون سنة. وأخرج من قبره بعد سنين. رؤية رآها رجل قال: رأيت طلحة في النوم فقال اخرجوني فإن الماء آذاني. فأخرجه بن عباس ولم يتغير منه شيء. ووجد الماء تحت شقه ودفن في مكان آخر.

فصل

الزبير بن العوام:

أمه صفية عمة النبي ﷺ. أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة وشهد المشاهد كلها. وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فيتصدق به كله. وفيه قال حسان بن ثابت[1]:

وكم كربة أجلا الزبير بسيفه على المصطفى والله يعطي ويجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر وفعلك يا بن الهاشمية أفضل

وكان حسان يفضله على جميع الصحابة، كما كان أبو هريرة يفضل جعفر بن أبي طالب على جميع الصحابة. وقتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن سبع وستين سنة، وقتل الحجاج ابنه عبد الله سنة ثلاث وسبعين بعد أن حاصره بمكة وقتله بحرمها وهو كريم الآباء والأمهات. فالزبير أبوه، وصفية جدته، وأسماء بنت أبي بكر أمه، وعائشة رضي الله عنها خالته، وهو أول مولود ولد في الإسلام في المدينة وفرح به النبي ﷺ والمسلمون.

---

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن مالك بن النجار الأنصاري. قال فيه النبي ﷺ «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله» وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: فضّل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام. ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 341 وما بعدها ـ حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة لعلي فهمي الموستاري ج 1 ص 17 وما بعدها.

فصـل

سعد بن أبي وقـاص:

أسلم وهو ابن تسع عشرة. سنة. ويوم إسلامه كان الثالث. قال بقيت سبعة أيام وأنا ثلث الإسلام. وهو أول من رمى بسهمه في سبيل الله، وكان مجاب الدعوة، مسدّد الرمية بدعوة رسول الله ﷺ قال فيه: «اللهم أجب دعوته وسدد رميته» توفي عام خمسـة وخمسين. وهـو آخر العشرة موتاً.

فصـل

سعيد بن زيــد:

هو ابن عم عمر بـن الخطاب وصهره. كانت عاتكة أخته عنـد عمر، وفاطمة أخت عمر عند سعيد، وأسلم قديماً، وتوفي سنة خمسين وفضله معلوم.

فصـل

عبد الرحمن بن عوف الزهـري:

ولد بعد ولادة رسول الله ﷺ بعشر سنين، وأسلم قبل دخـول رسـول الله ﷺ دار الأرقم. وقال فيـه: عبد الـرحمن سيد من سـادات المسلمين. وصلى ﷺ خلفه في السفر. وتوفي أيام عثمان وصلّى عليه ودفن بالبقيع.

فصـل

أبو عبيدة بن الجـراح:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح القريشي. قال رسول الله ﷺ:

«لكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة عبيدة بن الجراح» وتوفي عام ثمانية عشر وهو ابن ثمان وخمسين سنة

فصل

ومن خواص النبي ﷺ

حمزة وعمه العباس وبنوه عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم وأم معبد وعبد الرحمن، أمهم أم الفضل بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ولم تلد امرأة مثل هؤلاء الخمسة وقثم بن عباس هو آخر من خرج من قبر رسول الله ﷺ وكان يشبهه ولذلك كانوا يشبهونه خمسة: قثم بن عباس، وجعفر بن أبي طالب وشبهه في الخلق. قال له النبي عليه الصلاة والسّلام «أشبهت خلقي وخُلقي»، والحسن بن علي بن أبي طالب، والسايب بن عبيد، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه عليه الصلاة والسّلام وشهد له بالجنة.

فصل

قال رسول الله ﷺ: «كل نبي أعطي سبعة نقباء نجباء، وأعطيت أربعة عشر: أبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبو ذر والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن مسعود وعمار بن ياسر[1] وبلال بن حمامة».

فصل

وكتّابه ﷺ:

الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبيّ بن

(1) في أصل المخطوط عمار بن يسار.

كعب، وهو أول من كتب له بالمدينة، وهو أول من كتب في آخر الكتاب. وكتب فلان، وثابت بن قيس، وخالد بن سعد، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة.

فصل

وكان له عليه الصلاة والسلام من المؤذنين أربعة: بلال بن حمامة، وعبد الله بن أم مكتوم، وأبو محذورة وسعد بن عبادة.

فصل

وكان صاحب سره حذيفة بن اليمان وأخبره بما هو كائن إلى يوم القيامة. وكان يخلو بسلمان الفارسي ويزهده في الدنيا ويحدثه بأسرار الآخرة. وكان يحب عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وقال له: تقتلك الفئة الباغية يا عمار. فقتلته الطائفة التي كانت مع معاوية في حمايته لعلي. وقال عليه السلام: من آذى علياً فقد آذاني. وقال في الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة: اللهم إني أحبهما، فأحبهما وأحب من يحبهما. وولد الحسن في شهر رمضان عام ثلاثة من الهجرة، وتوفي عام تسعة وأربعين فاراً من الخلافة بعد أن وليها ستة أشهر وتركها لمعاوية خاصة مدة حياته إطفاءً للفتنة. وولد الحسين سنة أربع من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وستين قتيلاً يوم عاشوراء بأرض كربلاء في أيام يزيد بن معاوية. وقتل معه من أهل بيته إحدى وعشرين رجلاً ووجد في حجر مكتوب هذا البيت ولا يدرى قائله:

أترجو أمة قتلت حسيناً   شفاعة جده يوم الحساب

وكان رضي الله عنه كثير الصوم، وحج خمساً وعشرين حجة. وكان محسناً كريماً خيِّراً فاضلاً.

فصل

قال رسول الله ﷺ أرأف أمتي أبوبكر، وأقواها في أمر الله عمر، وأقضاها علي بن أبي طالب، وأقراها ابي بن كعب، وأفرضها زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل.

فصل

ومن خواصه أسد بن حصين الذي آخا رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة. وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. وكانت الملائكة تسمع قراءته وتوفي سنة عشرين. وحمل عمر بن الخطاب نعشه في من حمل.

فصل

ومنهم الأرقم الذي أسلم بعد سنة. وكان في داره عند الصفا كان ﷺ يستخفي من قريش في أول البعث، وأسلم فيها جماعة كثيرة، ومنهم جابر بن عبد الله بن عمر الأنصاري قال: غزوت مع رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة، وكانت وفاته في أربع وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة.

ومنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، أسلم بعد أربعة وهم: أبوبكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقاص. وسرّ النبي ﷺ بإسلامه ولازمه كثيراً، وكان من العمال استعمل على الطرقات وولي اليمن.

ومنهم خالد بن الوليد وكان صاحب الإعانة، وتأخر إسلامه إلى سنة ثمان من الهجرة هو وعمرو بن العاص ولنجدته كان على خيل رسول الله ﷺ.

ومنهم خزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الراية يوم فتح مكة، وهو الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وقاتل يوم صفين حتى قُتل بعد موت عمار بن ياسر، فإنه روى حديث عمار بن ياسر «تقتله الفئة الباغية».

ومنهم خارجة بن زيد وكان من أكابر قومه وآخا رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر وكانت ابنته حبيبة عند أبي بكر وابنه زيد بن خارجة هو الذي تكلم بعد موته وسنذكر ذلك في المعجزات، ومنهم النمار بن صيفي الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ إذارأيت الفتنة فالزم بيتك. وروى الثقاة البصريون قصته في القميص، وهو إنما أوصى أن يكفّن في ثوبين، فزادت ابنته الثالث. فلما رجعوا من دفنه وجدوا الثوب الثالث في البيت.

ومنهم انس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. ودعا له رسول الله ﷺ فقال: اللّهم أكثر ماله وولده وأطل عمره فعمر مائة سنة. وكان له من الولد ثمانون كلهم ذكور سوى ابنتين. وكان أكثر الأنصار مالاً، وتوفي سنة إحدى وتسعين. وسأله علي بن أبي طالب عن شيء فلم يجبه. فقال: اللهم اجعل فيه برصاً في مكان لا تستره فيه عمامته. فأصابه البرص في وجهه. وقال له رجل ما هذا فقال أثر النبوة يريد دعوة علي رضي الله عنه.

ومنهم بلال بن حمامة اعتقه أبو بكر. وكان طاهر القلب، توفي سنة إحدى وعشرين للهجرة وهو ابن سبعين سنة. ولما قدم عمر بن الخطاب على الشام وجده هنالك. فخرج وأذن فبكى وبكى من معه من الناس. ومنهم جعدة بن هبيرة القريشي المخزومي أمه أم هاني أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ومنهم حجر بن عدي الكندي، مات قتيلاً وقال لأهله لا تزيلوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً حتى نلتقي مع معاوية على الجادة. وحزنت عليه عائشة. ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي أن معاوية قتل حجر بن عدي قال: اللهم اقبضني إليك الساعة، فمات في مجلسه.

ومنهم زيد بن ثابت الأنصاري الفرضي أحد كتّابه عليه الصلاة والسّلام. ولد بعد البعث بسنتين. وهو أحد الذين جمعوا القرآن وإلى ما عنده رجع عثمان بن عفان حين كتب المصاحف وبعث بها إلى البلدان. وهو صاحب بيت المال في أيام عثمان. وتوفي وهو ابن أربع وخمسين سنة.

ومنهم زيد بن الأرقم الأنصاري. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة وهو الذي أخبر عن عبد الله بن سلول المنافق أنه قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. وحلف عبد الله أنه لم يقله. فانزل الله الآية. وتوفي سنة ثمان وستين.

ومنهم نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، أسر يوم بدر فيمن أسر من المشركين. وقال له النبي ﷺ: أفدي نفسك. فقال: ما عندي شيء. فقال له: ورماحك التي بحيرة. فقال: والله ما علم بها أحد أشهد أنك رسول الله. وفدى بها نفسه وكانت ألف رمح.

ومنهم عبد الله بن زيد الخزاعي من وجوه الصحابة. وكان مع علي بن أبي طالب يوم صفين، وحبس سيفين وقاتل حتى قتل هو وأخوه عبد الرحمن بن زيد.

ومنهم عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ضرار أخو جُويرة أم المؤمنين. قدم على النبي ﷺ قبل إسلامه في فداء أسارى، وغيب جارية سوداء في الطريق وأبعرة. فلما قدم على النبي ﷺ فقال له: أين الجارية السوداء والأبعرة التي غيبت؟ فقال: والله ما حضر أحد ولا سبق أحد. أشهد أنك لرسول الله.

ومنهم عبد الله بن عمر الأنصاري والد جابر بن عبد الله مات شهيداً يوم أحد، وأظلت الملائكة بأجنحتها حتى دفن. وأخبر النبي ﷺ أنه كلّم الله مواجهة. وقال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب. وقال له: تمنّ علي. فقال: يا رب تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك ثانية. فقال: سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. فقال يا رب فأبلغهم فانزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

ومنهم الهذلي [2] أسلم قديماً. وقال علمني فمسح على رأسه، وقال إنك

(1) سورة آل عمران: الآية: 169.
(2) هو عبد الله بن مسعود بن غافل المشهور. الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 987 وما بعدها.

معلم، وشهد له بالجنة. وهو من الراسخين في العلم. وكان رجلاً قصيراً جداً نحيفاً. وهو الذي قتل أبو جهل[1] يوم بدر وفضله في القرآن والعلم مشهور. توفي في أيام عثمان سنة اثنين وثلاثين وسنه يزيد على الستين.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله ـ عنهما ـ شقيق عائشة، أمهما أم رومان رضي الله عنه وأسلم بعد أبيه بمدة. وكان صالحاً وفيه دعابة. وأخوه محمد بن أبي بكر أمه اسماء بنت عميس، وهو ربيب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخوه لأمه محمد بن جعفر بن أبي طالب. توفي عبد الرحمن سنة ثلاث وخمسين. ويقال لم ير رسول الله ﷺ أربعة على الولاء إلا أربعة: إلا عبد الرحمن وابنه محمد وأبوه أبو بكر وجده أبو قحافة. ومنهم عمار ابن ياسر أبوه عربي قحطاني، وأمه أمة لبني مخزوم وهو مولى لهم. وفتن وعذب في الله هو وأبوه وأمه، فمر بهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون فقال لهم: صبراً يآل ياسر فإن موعدكم الجنة. وقتل يوم صفين ودفنه علي في ثيابه في سنة سبع وثلاثين وعمره يزيد على الستين.

ومنهم شمعون بن زيد من بني قريضة، وكان من الفضلاء الزاهدين، وهو ولد ريحانة سرية النبي ﷺ.

ومنهم أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ، وتوفي بالكوفة سنة أربعين وصلى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكبّر سبعاً وهو ابن سبعين سنة.

ومنهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع وشبهه، أسلم هو وابنه جعفر عام الفتح، وشهد له رسول الله ﷺ

(1) في مقتل أبي جهل قال معاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد السلمي فقصدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أظنت قدمه بنصف ساقه. ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق. ثم مر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلتمس في القتلى. قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، ثم احتززت رأسه وجئت به إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل. المجلد الأول ص 634 - 635 - 636، من السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام. طبع مصر.

بالجنة. وحفر قبره بالمدينة قبل موته بثلاثة أيام.

ومنهم أبو اليسر كعب بن عمرو وهو الذي حبس العباس بن عبد المطلب يوم بدر وكان قصيراً جدّاً نحيفاً. وكان العباس رجلاً طويلاً ضخماً. فلما جاء به قال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم».

ومنهم خارجة بن حذافة أحد فرسان قريش وكان يعد بألف فارس. قال بعض أهل النسبة: كتب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب من اقليم مصر يطلبه في ثلاثة آلاف فارس فوجّه إليه هؤلاء الثلاثة[1] ومنهم رُفاعة بن رافع هو وأخوه خالد ومالك. ومنهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب، أسلم قبل أخيه وشهد بدراً وما بعدها. وقال له أخوه يوم أحد خذ درعي فقال له: إني أريد من الشهادة ما تريد. فتركا الدرع بالأرض ودخلا إلى القتال. وفي عام اثني عشر قتل يوم اليمامة وهو قتالهم مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوءة.

ومنهم طُليب بن عُمير القرشي أمه أروى عمة النبي ﷺ، وهو قديم الإسلام. ولما أسلم دخل على أمه أروى فقالت له: آمنت بابن خالك؟ فقال لها: نعم. فحضّته على نصره والقيام بأمره.

ومنهم الطفيل بن الطفيل بن عمر الدوسي[2] الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قومه، وأضاء طرف سوطه آية بدعوة رسول الله ﷺ

ومنهم محمد بن مسلمة الأنصاري. وكان من فضلائهم واستخلفه

(1) وهم خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر القرشي العدوي، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود.

(2) في أصل المخطوط الأوسي وهو الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي من دوس. أسلم وصدق النبي ﷺ بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس. طلب من رسول الله أن يدعو الله على قومه فقال رسول الله ﷺ اللهم اهد دوساً ثم قال يا رسول الله ابعثني إليهم وآجعل لي آية يهتدون بها. فقال: اللهم نوّر له ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ص 757 وما بعدها ج 2.

رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين سنة.

ومنهم معاذ بن جبل بعثه عليه السلام قاضياً إلى اليمن وجعل له قبض الصدقات من العمال الذين باليمن. وقال فيه عليه السّلام يأتي يوم القيامة أمام العلماء. وتوفي سنة ثماني عشرة وسنه نحو الثلاثين. ولم يلد له ولد قط.

ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفي وكان من الدهاة. وقال الشافعي دهاة العرب أربعة: المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وزياد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص.

ومنهم معاوية المزني، وكان يكثر من قراءة قل هو الله أحد دائماً. وببركتها بعث الله له سبعين ألفاً من الملائكة يصلّون عليه يوم توفي.

ومنهم معاوية بن أبي سفيان من كتّابه عليه الصلاة والسلام وعدّه بعضهم في المؤلفة، ولّاه عمر الشام، وتوفي عمر وله في الولاية أربع سنين وأقره عثمان اثني عشر عاماً وألف أهل الشام. ولا يأتي إلا في هاتين المدتين، وكان كثير العطاء، واستعان بعمرو بن العاص وغيره في فتنته مع علي بن أبي طالب في فئته الباغية. وتمهد الأمر لابنه يزيد وليس بصحابي. وقد اختلف العلمـاء في جواز لعنة يزيد فمنهم من منع وقال الترك أحسن كالغزالي، ومن علماء الحجاز من أجاز وبه آخذ فلعنة الله عليه.

ومنهم معقل بن يسار المزني وهو الذي كان يرفع أغصان الشجرة عن رسول الله ﷺ يوم البيعة. وبايعوه أن لايفر أحد يعد مناجزة قريش وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُومِنِين إِذْ يُبَـايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[1]

ومنهم زيد بن أبي مرثد رضي الله عنهما ومات أميراً على سرية في

(1) سورة الفتح: الآية: 18.

السنة الثالثة. وروى عن النبي ﷺ: إن اسرّكم أن تقبل صلاتكم فيؤمكم خياركم.

ومنهم القاري المقري مصعب بن عُمير، وبعثه ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة يقرئهم القرآن ويفقههم. وهو أول من صلّى بهم الجمعة. وقتل يوم أحد وكانت الراية بيده. فبادر إليه علي بن أبي طالب وأخذها

ومنهم النعمان بن معن المزني صاحب لواء سرية يوم الفتح، وهو أمير الجيش يوم فتح الله أصبهان في أيام عمر بن الخطاب.

ومنهم نعيمان[1] بن عُمير، وهو من قدماء الصحابة وكبرائهم. وكان يضحك النبي ﷺ، وكان رجلاً صالحاً على ما فيه من الدعابة. سافر مرة مع أبي بكر وكان سليط بن حرملة على الزاد، فطلبه نعيمان في شيء من الطعام فأبى وغضب وحلف فيه. فلما غاب أبو بكر قال لطائفة من العرب خطرت عليهم: عندي عبداً إذا أردتم أن أبيعه لكم. يقول أنا حر فاشتروه مني. فاشتروه ودفعوا له إبلاً في اليمن. وربطوه ستة وحملوه وهو يقول أنا حرّ فيقولون له علمنا مكرك. وجاء أبو بكر فأخبر بسليط فتبعهم وردّه، وأخذوا إبلهم. وبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ.

ومنهم صهيب[2]، وكان إسلامه قديماً مع عمار بن ياسر. ولما هاجر رسول الله ﷺ أراد الخروج بعده فمنعته قريش حتى دفع إليهم ماله. فانزل الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[3] وفضائل

(1) هو نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث ابن النجار. كانت فيه دعابة وله أخبار ظريفة في دعابته، منها خبره مع سليط بن حرملة وغيره. وهناك من يقول أن اسم سليط الصحيح هو سويبط بن حرملة.

(2) هو صهيب بن سنان الرومي ذكر ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) ص 729 ج 2 ما يلي: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: صهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيباً حب الوالدة لولدها.

(3) سورة البقرة: الآية: 207.

صهيب وسلمان الفارسي وبلال بن حمامة وعمار بن ياسر وخباب التميمي والمقداد بن الأسود وأبي ذر الغفاري لا يحيط بها كتاب.

ومنهم صفوان بن أبي أمية، إلا أنه تأخر إسلامه. وأسلمت زوجته يوم الفتح، وأسلم هو بعدها بشهر وأقام على نكاحها. واستعار منه ﷺ سلاحاً قبل إسلامه. فقال له: طوعاً أو كرهاً؟ فقال: بل طوعاً عارية مضمونة. فأعاره ورد عليه عاريته وأحسن إليه. وما قدم حتى وجّه إليه رداءه أماناً مع ابن عمه. وقال تلويني بشهرين. فقال ﷺ: «لك أربعة أشهر».

ومنهم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد، وهما من المهاجرين الأولين، وأختهما زينب أم المؤمنين وأخوهم عبيد الله بن جحش. وتنصَّر بعد إسلامه وبانت منه زوجته حبيبة بأرض الحبشة، وعقد عليها النجاشي لرسول الله ﷺ.

ومنهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة وقدم مع أبيه المدينة، ولازم وحفظ وروى. ويقال له بحر الجود لأنه لم يكن في الإسلام أسخى منه. ومات بالمدينة سنة ثمانين وهو ابن تسعين سنة.

ومنهم عبد الرحمن بن حذافة[1] أسلم قديماً، وأرسله رسول الله ﷺ بكتاب إلى كسرى فمزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: اللهم مزق ملكه. فقتله ابنه بالليل وذلك في سنة سبع. وعبد الرحمن هذا هو الذي قال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: حذافة. فقالت أمه ما أعقله بهذا السؤال نظر اني اقترفت شيئاً. فقال لها: والله لو ذكرت لي عبداً أسود للحقت به. وأمّره رسول الله ﷺ على سرية، فأمر بعد خروجه بجمع

(1)في أصل المخطوط عبد الرحمن بن حذافة. وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 888، وما بعدها وفي تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 77 هو عبد الله بن حذافة لا عبد الرحمن.

الحطب وأوقد بالنار. وقال لمن معه اقتحموا النار، فأبوا: فقال لهم فأين الطاعة؟ فقالوا: ما آمنّا إلا لننجو من النار فصوَّب رسول الله ﷺ فعلهم. وقال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وكانت فيه دعابة وكان يضحك النبي ﷺ

ومنهم عبد الله بن رواحة[1] أحد شعراء النبي ﷺ، هو وحسان بن ثابت وكعب بن مالك. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[2] فقال له النبي ﷺ يوماً: قل شعراً تقتضي الساعة. فأنشد:

إني تفرَّست فيك الخير أعرفه   والله يعلم ان ما خانني النـظر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته   يوم الحساب لقد أزرى به القدر

فقال له النبي عليه السّلام: ثبتك الله يا بن رواحة ومات شهيداً، وفتحت له الجنة.

ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أسلم مع أبيه وهو صغير، وقال فيه رسول الله ﷺ: «عبد الله رجل صالح.» ومات سنة ثلاثة وسبعين أسمّه الحجاج انتقم الله منه

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه. وكان بينهما في السن اثني عشر[3]عاماً، وكان من علماء الصحابة ،وكان يكتب الحديث. وكان صوَّاماً قوَّاماً.

ومنهم عبد الله بن عباس الفقيه الراسخ، لازم في صغره. ورُوي أنه انتفع بدعوة رسول الله ﷺ وولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات سنة

---

(1) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن الخزرج ـ كتاب حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ج 1 ص 35 وما بعدها، لعلي فهمي الموستاري ـ الاستيعاب ـ لابن عبد البر ج 3 ص 898.

(2) سورة الشعراء: الآية: 227.

(3) ولد لعمرو بن العاص ابنه عبدالله. وكان لعمرو من العمر اثنتي عشرة سنة. الاستيعاب لابن عبد البر ج ـ 3 ـ ص ـ 956 ـ 957 ـ.

ثمان وستين في أيام عبد الله بن الزبير بن العوام.

ومنهم عبد الله بن سلام من ولد يوسف عليه السّلام. وهو أحد الأحبار وأسلم سنة الهجرة. وأشهد له ﷺ بالجنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين.

ومنهم عُبادة بن الصامت، وشهد المشاهد كلها، وهو أول من ولي القضاء بالشام في أيام عمر رضي الله عنه ونزعه معاوية في شيء، فرجع إلى المدينة فردّه عمر إلى القضاء. وكتب لمعاوية لا امارة لك عليه. وتوفي بالقدس سنة أربع وثلاثين.

ومنهم عبد الله القريشي وهو قديم في الإسلام. وهو أول من خرج بالسرية في ثمانين راكباً سنة ستين من الهجرة.

ومنهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهاجر معه إلى المدينة.

ومنهم عمران بن حصين من فضلاء الصحابة وفقهائهم. وكان يرى الحفظة وتكلمه حتى اكتوى وأسلم هو وأبو هريرة عام خيبر.

ومنهم العابد المجاهد عثمان بن مضعون، وشهد بدراً بعد ذلك بالمدينة وقبّله ﷺ بعد موته وبكى. ثم قال استغفر الله وجعل حجراً عند قبره ليعرف به. وكان يزور قبره. ولما توفي ولده إبراهيم عليه السّلام قال النبي ﷺ: «إلحق بالسلف الصالح عثمان بن مضعون».

ومنهم العلاء بن الحضرمي بعثه ﷺ إلى ملك البحرين. ثم ولاّه البحرين بعد فتحها، وأمّره أبو بكر وعمر، وتوفي في أيام عمر سنة أربع عشرة. وهو الذي خاض البحر ماشياً وقطعها كالوادي، وهذا مشهور عنه. ولما توفي ولّى عمر أبا هريرة مكانه.

ومنهم عكرمة بن أبي جهل. فرّ يوم الفتح إلى اليمن ثم جاء وأسلم ومات شهيداً

ومنهم عتّاب بن أسيد. واستعمله النبي ﷺ على مكة وسنّه نحو عشرين، وحج بالناس سنة ثمان، وحج المشركون في ذلك العام. ثم حج أبو بكر بالناس سنة تسع ومنع المشركين من الحج وانتقض العهد. وحج رسول الله ﷺ سنة عشر. ولم يزل عتاب والياً على مكة حتى توفي بها يوم توفي أبو بكر. وكان صالحاً زاهداً لم يملك في ولايته غير قميص واحد.

ومنهم عكاشة بن محص رضي الله عنه. شهد بدراً وقاتل حتى انكسر سيفه فناوله ﷺ عوداً فرجع في يده سيفاً. وقال ﷺ: «يدخلون الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم». فقال عكاشة: ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال: اللهم آجعله منهم. فقام آخر[1] يطلب ذلك. فقال عليه الصلاة والسّلام: سبقك بها عكاشة.

ومنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. أسلم هو وأبوه وجده. وكان قيس فاضلاً شجيعاً كريماً صاحب رأي. وحلق رأسه يوم توفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو وقومه وكانوا أربعمائة وقيل أربعة آلاف. وكان مع الحسن بن علي رضي الله عنه. وغضب لصلحه مع معاوية، وفرّ إلى المدينة بنفسه، وأقبل على العبادة بنفسه حتى توفي سنة ستين وهو القائل يوم صفين:

هذا اللواء الذي كنا نحف به   مع النبي وجبريل لنا مددُ
من كانت الأنصار عيبتُه   ألا يكون لهم من غيره أحدُ

ومنهم قتادة بن النعمان شهد المشاهد كلها، وأصيبت عينه يوم أحد

(1) في السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول ص 638: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة. وعكاشة هو ابن محص بن حرثان الأسدي.

وردها رسول الله ﷺ وهو أخو أبو سعيد الخذري من الأم

ومنهم سلمة بن الأكوع وكان فاضلاً شجاعاً. وهو الذي كلّمه الذئب. وذلك أن ذئباً أخذ ظبية فتبعه حتى نزعها منه. فقال له الذئب: تأخذ رزقي. فقال: هذا عجب. فقال الذئب: أعجب من هذا أن النبي ﷺ يدعوكم لعبادة الله وأنتم مع الأوثان. فبادر وأسلم.

ومنهم هند بن أبي هالة ربيب رسول الله ﷺ، أمه خديجة، ومات في طاعون البصرة. وحكي أنه مات في ذلك اليوم سبعون ألفاً ولم يوجد من يحمله فنادت[1] واربيب رسول الله ﷺ فتُركت الجنائز كلها حتى حمل أعظاماً للنبي ﷺ. ولرسول الله ﷺ ربايب من أم سلمة: عمر بن أبي سلمة وأختاه زينب وأم كلثوم.

ومنهم أبو أيوب الأنصاري من أكابر الصحابة وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة خمسين. قال ابن القاسم عن مالك: بلغني أن الروم يستسقون بقبره عند الحاجة إلى المطر.

ومنهم أبو بردة بن نيار، وشهد المشاهد كلها بدراً وغيرها وتوفي في آخر خلافة معاوية بعد شهوده مع علي حروبه كلها.

ومنهم أبو هريرة، واختلف في اسمه وصح ما قيل فيه إنه عبد الرحمن وقيل عبد الله بن صخر. قال حملت هرة في كمي قال لي رسول الله ﷺ: ما هذه؟ فقلت: هرة. فقال لي: أنت أبو هريرة. أسلم عام خيبر وشهدها، ولازم وحفظ وروى وشهد له رسول الله ﷺ بحرصه في العلم. وكان يدور معه حيث ما دار في بيوته يأكل معه، وولّاه عمر البحرين، وتوفي بالمدينة سنة سبع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين.

ومنهم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخذري رضي الله عنهما،

(1) فنادت امرأة واهندا بن هنداه، فمال الناس إليه وازدحم الناس على جنازته.

وأسلم أبي سعيد. وكان أبو سعيد من الصحابة وتوفي سنة أربع وسبعين.

ومنهم سعد بن معاذ، وهو الذي اهتز العرش لموته، فنزل جبريل يسأل وهو حديث صحيح. وفتحت له أبواب السماء وحملته الملائكة مع من حمله ومات بجرح أصابه يوم الخندق.

ومنهم أبو طيبة[1] حجام النبي ﷺ. روى حديث في الحناء وهي النفقة في الحناء كالنفقة في الحج. الدرهم بسبعمائة.

ومنهم أبو لبابة بن عبد المنذر شهد بدراً وغيرها واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرتين. وهو الذين ربط نفسه بالسلسلة وهجر الطعام والشراب حتى يتوب الله عليه. وحلّه رسول الله ﷺ بيده.

ومنهم أبو موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس وأسلم قديماً بمكة. ثم خرج إلى قومه. ثم قدم سنة خيبر مع ناس من الأشعريين. وكان يخدع ولا يعلم أنه يخدع.

فصل

وحرس في السفر جماعة من الصحابة كانوا يتسابقون إلى ذلك بالليل يحرسونه[2] من الكفار. حتى نزل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[3] فلما نزلت الآية خرج رسول الله ﷺ من الغيبة، وقال: انصرفوا فإن الله عصمني ﷺ تسليماً.

(1) هو أبو طيبة الحجام مولى بني حارثة كان يحجم النبي ﷺ. قيل اسمه دينار، وقيل نافع، وقيل ميسرة. والله أعلم. روى عنه أنس بن مالك في الحجامة،وروى عنه عن النبي ﷺ: النفقة في الحفاء مثل النفقة في الحج الدرهم بسبعمائة ـ الاستيعاب ـ لابن عبد البر ج 4 ص 1700

(2) جاء في عيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 396. «وكان على حرسه عباد بن بشر فلما نزلت ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾. سورة المائدة: الآية: 67. ترك الحرس.

(3) سورة المائدة: الآية: 67.

الباب الثالث

في مبعثه عليه الصلاة والسلام وبعوثه وغزواته ووفاته

الفصل الأول

في مبعثه عليه الصلاة والسّلام

وهو ابن اربعين سنة. وكان خرج في تجارة إلى الشام وهو ابن خمس وعشرين سنة. وشهد بنيان الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة. ورضيت قريش بحكمه ووضع الحجر الأسود بيده المباركة. وكان ياقوتة بيضاء من الجنة أسود بخطايا بني آدم. والكعبة بناها شيث عليه السلام بعد أن كانت ربوة. وحج إليها آدم عليه السلام قبل بنائها وأول ما بدأ به رسول الله ﷺ الرؤ يا الصالحة. وكان لا يرى رؤ يا إلا خرجت كفلق الصبح. وكان لا يمر على حجر ولا شجر إلا سلم عليه بالرسالة. وجاء جبريل عليه السّلام وقال اقرأ. قال ما أنا بقارىء. فقال اقرأ باسم ربك. ثم قال له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. وكانت نبوءته يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ورأت قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوماً من مبعثه.

وأول من آمن بالله تعالى خديجة وأبو بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقاص. وقال عمار بن ياسر: أسلمت بعد ثمانية. وأسلم حمزة عم النبي ﷺ بعدهم، وأسلم عمر بن الخطاب بعد تسعة وثلاثين رجلاً وأعزّ الله الإسلام به.

واشتد بغض رؤساء قريش، والنبي ﷺ يبلّغ ويبين. فقال فريق من

قريش[1] لأبي طالب: ابن أخيك يعيب ديننا ويضل أباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه. فأعلم النبي ﷺ فقال: يا عم والله ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله. فقال له: قل ما شئت. وبالغ المشركون في إذاية المسلمين. وحفظ الله نبيّه عليه السّلام وحجبهم عنه. وقال النبي ﷺ: لو خرجتم إلى أرض الحبشة. فخرج جملة من المسلمين وهي أول هجرة في الإسلام وكانت في رجب في السنة الخامسة من البعث. خرج عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وجعفر بن أبي طالب وجماعة من الرجال والنساء ودخلوا على النجاشي مالك الحبشة، وسألهم عن النبي ﷺ وقال: هل معكم شيء مما جاء به؟ فقرأ جعفر بن أبي طالب صدر كهيعص ذكر فبكى الملك وجلساؤه وقال انتم آمنون. ورد هدية قريش ورسولهم عمرو بن العاص وغيره الذي جاء يطلب المسلمين وقال لمن هاجر أنتم آمنون في بلادي. وعُذّب من عُذّب في الله بمكة كعمار وبلال وغيرهما، وتعاقد المشركون ألا يباع مشركٌ مؤمن ولا يناكح ولا يجالس، وحوصروا في شعاب مكة وأصابهم من الانحصار شدة عظيمة، ومنع الله نبيه عليه السّلام حفظاً من ربه بعمّه أبي طالب. وكان الأنصار بعد المبعث بست سنين ومكثوا في الشعاب ثلاث سنين وخرجوا منه. ثم مات أبو طالب وسنه عليه السّلام تسع وأربعون وثمانية أشهر وعشرة أيام. ثم ماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.

ولما توفى أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف على مكة ودعاهم إلى الله عز وجلّ، فلم يجيبوه وأتبعوه بالحجارة والاذاية، وهو يدعو لهم

---

(1) جاء في كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ج 1 ص 191 ـ «فمشى جماعة من أشرافهم كعقبة وشيبه وأبي جهل إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفَّه أحلامها وضلل آباءنا. فإما أن تكفَّه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه. فقال له: يا بن أخي إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا كذا فلا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فقال: يا عمّاه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه».

بالهداية. فرجع وأتى ظل شجرة وصلى ركعتين. ودعا بهذا الدعاء: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدوّ ملكته أمري إن لم يكن بك عليّ غضب[1] فلا أبالي. لتكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن ينزل بي غضبك أو يحل علـي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. ولما دعا رسول الله ﷺ بهذا الدعاء نزل جبريل ومعه ملك الجبال وقال: يا محمد هذا ملك الجبال بعثه الله إليك إن شئت أن أطبق عليهم الجبال فأمره. قال ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً.

فصل

ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة ومرّ به وهو يصلي بالليل نفر من الجن من أهل نصيبين وسنة يومئذ خمسون سنة وثلاثة أشهر فآمنوا وولّوا إلى قومهم منذرين. ونزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ اوحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾[2] ثم فشا الإسلام وكثر.

فصل

وأسري به ﷺ في اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس بعد سنة ونصف بعد رجوعه من الطائف، وذلك قبل الهجرة بسنتين. قال عليه السلام: بينما أنا قائم إذ جاءنـي جبريل فهزني فقمت معه وخرجت فإذا أنا بالبراق ملجماً مسروجاً وهي الدّابة التي تحمل عليها الأنبياء، تضع حافرها عند منتهى بصرها، فركبتها ثم أتيت المقدس

(1) في أصل المخطوط جاء ان لم ذلك علي غضب. كما أضاف في الدعاء، كلمة الكريم (بنور وجهك الكريم). وجعل بدل ـ وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ ما يلي: وصلح عليه أمر الأولين والآخرين

(2) سورة الجن: الآية: 1.

فوجدت ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فصليت بهم. ولما فرغت أوتي بالمعراج ولم أرَ قط شيئاً أحسن منه. وهو الذي يمد إليه ميتكم بصره إذ احتضر فأصعدني جبريل فيه حتى انتهى إلى باب السماء وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثني عشر الف ملك تحت كل ملك اثني عشر الف ملك. وتلا وما يعلم جنود ربك إلا هو فقال: من هذا، فقال: محمد. فقال: ابعث إليه. قال: ثم صعد بي إلى السماء الثانية فقالوا: من هذا. كذلك إلى السماء السابعة، ولقيت آدم في الأولى وعيسى وزكريا ويحيى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة[1] .البيت المعمور يدخلون كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إلى يوم القيامة، وتلقيت فرض الصلاة وأول الفرض خمسون وسألت التخفيف بإشارة موسى مرة بعد مرة حتى بقيت الخمس. وأستحييت أن أراجع ربي، فمن أداهنّ إيماناً واحتساباً فله اجر الخمسين. وحدث رسول الله ﷺ بإسرائه فقالت قريش: كيف يقطع مسافة شهر ذهاباً وشهر راجعاً، وارتد كثير ممن أسلم. وقال أبو بكر: والله لقد صدق. ثم قال: صفه لنا يا رسول الله. فرفع له بيت المقدس وهو ينظر فيه ويصفه ويصدقه فإنه رآه قبل ذلك. وبيت المقدس بناه داوود عليه السّلام وكمّله سليمان ابنه وذلك بعد بناء الكعبة بأربعين سنة. وحديث المعراج طويل وهذا طرف منه، وبسببه وقفت الشمس فإنه لما كان يحدثهم سألوا قريشاً عن عبيدهم وأصحابهم، هل لاقيت أحداً منهم؟ فقال: نعم. فقالوا: متى قدومهم؟ فقال: يوم الأربعاء. وكادت الشمس أن تغيب يوم الأربعاء قبل قدومهم فدعا الله تعالى وحبس ساعة حتى كان قدومهم بالنهار. ولم تحبس الشمس إلا ثلاث مرات: هذه، ومرة ليوشع بن نون عليه السّلام حين خاف من العدو بالليل فدعا الله ان يبقي النهار حتى يصل إلى المكان الذي أراد. ويوشع هو ابن أخت موسى وهارون عليهما السّلام. ووقفت الشمس المرة الثالثة لعلي بن أبي طالب حتى صلى

(1) بياض في الأصل.

العصر في وقتها بدعوة النبي عليه السّلام. والسبب أن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه في حجر علي وعليه صلاة العصر ونقل بعضهم أنها رجعت بعد أن غربت وهي آية عظيمة. وعلى هذا يتوجه ها هنا سؤال: أن من صلّى المغرب في هذا اليوم هل يعيدها بعد غروبها ثانية أم لا؟ جوابه أنه لا إعادة عليه ولم أره. إلا أن بعضهم قال: في صاحب الخطوة إذا صلّى المغرب في مكان الشرقي ثم قدم المكان الغربي ووجد الشمس لم تغرب انه لا إعادة عليه.

فصل

ولما أراد الله تعالى إظهار دينه وانجاز وعد نبيّه ﷺ خرج في الموسم يعرض الدين على القبائل كعادته في كل موسم. فلقي نفراً من الخزرج عند العقبة فدعاهم إلى الله فآمنوا، وانصرفوا لقومهم وشاع ذلك فيهم. ثم ورد في الموسم الثاني اثنا عشر رجلاً فبايعوه في العقبة ورجعوا إلى المدينة. وبعث مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم دينهم. ثم رد مصعب بن عمير وحضر الموسم في العام الثالث ومعه من المسلمين ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان. فجاءهم النبي ﷺ بالليل ومعه عمه العباس قبل إسلامه، وقيل كان يكتم إسلامه. فقال لهم العباس إن محمداً ها هنا في عزّ وفي منعة وهو يريد الانحياز إليكم فإن كنتم تمنعونه فحسن وإلا فدعوه. فقالوا[1]: نعم ولعله إن أظفره الله بعدوه يرجع إلى قومه ويدعنا. فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: أخرجوا إلي اثني عشر نقيباً (يعني من عظمائكم). فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وبايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، وانصرفوا إلى المدينة.

ثم هاجر رسول الله ﷺ بعد ثلاثة وخمسين سنة من عمره وذلك في شهر ربيع الأول. والهجرة بأمر الله عزّ وجلّ حتى لا يجري حكم مشرك

(1) في أصل المخطوط فقال.

على مؤمن. ولما علمت قريش أنه يريد الانتقال اشتدت إذايتهم واتفقوا على منعه وقتله ليلة خروجه، واجتمعوا في الظلمة على بابه، فخرج رسول الله ﷺ وبيده حفنة تراب وينثره على رؤوسهم بعد جلوسهم وهو يقرأ سورة يسن إلى قوله لا يبصرون. وخرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر حتى انتهى إلى غارٍ بأسفل مكة، ثم أقام فيه ثلاثة أيام، وترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرد الودائع التي كانت عند النبي ﷺ. وقدم إلى المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جماعة كثيرة، وعثمان وغيره بأرض الحبشة. ولما آيست قريش بعد البحث والوقوف على الغار، واستدَّ بابه بنسج العنكبوت وعمارة بالحمام، ركب ﷺ راحلته وركب أبو بكر أخرى ومعهما رجلان: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي. وتبعه من المشركين سُراقة فارساً، فلما قرب وقفت به فرسه في وحل من غير وحل. فقال يا محمد ادع الله لي وننصرف. ودعا له فارتفعت قوائمها من الأرض ورجع وأسلم بعد ذلك سراقة رضي الله عنه. وإلى هذا أشار الشقراطسي بقوله:

وفي سراقة آيات مبينة إذ ساخت الحجر في وحل بلا وحل

وقدم ﷺ المدينة يوم الاثنين الثامن، وقيل الثاني عشر لربيع الأول وأقام هناك وأسس مسجد قباء وطلبته القبائل في النزول فقال دعوها (يعني الناقة) فبركت عند باب مسجده عليه السلام، ونزل عند أبي أيوب الأنصاري وبنى رسول الله مسجده ومساكنه في شهر صفر من السنة الثانية. وآخا رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في أواخر سنة الهجرة، وأظهر الله الدين وأمره بقتال المشركين.

(1) هو العلامة أبو محمد علي بن عبدالله الشقراطسي التوزري صاحب القصيدة الشقراطسية في مدح رسول الله ﷺ. وقد شرح هذه القصيدة المؤرخ التونسي محمد بن علي بن الشباط التوزري. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد. المجلد - 13 - سنة: 65-1966. الدكتور أحمد مختار العبادي.

الفصل الثاني
في بعوثه عليه السلام وغزواته

قال الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي -زا رسول الله ﷺ سبعة وعشرين غزوة[1]، وقاتل عليه السلام في تسع منها. وكانت بعوثه ثمانية وثلاثين بين بعث وسرية. وقال غيره كانت غزواته نحواً من خمس وعشرين وبعوثه نحواً من خمسين.

فصل

وأول غزواته ﷺ غزوة ودان ويقال لها غزوة الأبواء. وودّان اسم مكان وكذلك الأبواء، وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة. واستعمل على المدينة سعد بن عُبادة وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة بعثه عبدالله بن جحش في ثمانية من المهاجرين يتوصل[2] قريشاً خارج مكة. ولواء عبدالله بن جحش أول لواء عقد فغنموا وقتلوا وأسروا وفي شهر رمضان من السنة الثانية غزا غزوة بدر. وبدر اسم ماء بئر كان رجل اسمه بدر[3] احتفرها، وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر. وكان المشركون تسعمائة وخمسين وكان لواؤه ﷺ أبيض بيد مصعب بن عمير، وكانت الراية بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولما صوبت قريش إلى

(1) الغزوة هي التي يكون فيها النبي ﷺ، والسرية هي التي لم يكن فيها النبي ﷺ

(2) لعله يقصد يترصد.

(3) هو بدر بن قريش بن يخلد بن النضر حفر هذه البئر فنسبت إليه - عيون الأثر - ج 1 ص - 324 - لابن سيد الناس.

الوادي خرج رسول الله ﷺ من العريش ومعه أبو بكر، وحرّض الناس وقاتل رسول الله ﷺ هو ومن معه، فكانت الهزيمة على المشركين، فقتل من قُتِل من أشرافهم وعدتهم خمسون. وأسّر من أسر وعدتهم أربعة وأربعون[1] فيهم العباس عم النبي ﷺ، وفيهم عقيل بن أبي طالب أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال العباس: يا رسول الله إني خرجت مكرهاً وإني مسلم. فقال رسول الله ﷺ: قد علمت بإسلامك فأفدِ نفسك. فقال: ما عندي شيء: فقال له: أين المال الذي وضعته تحت زوجتك أم الفضل وقلت لها ان مت فافعلي به كذا وكذا. فقال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد وإني لأعلم انك رسول الله ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية. ولم يسلم من الأسارى إلا العباس وعقيل، وقتل علي بن أبي طالب ستة من أشرافهم كالعاص بن سعيد بن العاص، والوليد بن عتبة وغيرهما. وقتل عمر بن الخطاب خاله العاصي بن هاشم بن المغيرة. وقتل عبدالله بن مسعود أبا جهل بعد أن ضربه عمرو بن الجموح[2] بالسيف على رجله فقطعها. واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ولم يحضر عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن زوجه رقية بنت النبي ﷺ كانت مريضة، فردّه ﷺ. وكان طلحة بن عبدالله وسعيد بن زيد بالشام وأبو لبابة مستخلفاً بالمدينة، وجعل لهم من السّهم والأجر لمن

---

(1) جاء في كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لابن الجوزي ج 2 ص ـ 679 ـ. «فكانت الهزيمة وقتل من صناديد القوم سبعون وأسر سبعون. واستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأسارى. فقال أبو بكر: هؤلاء بنو العم والعشيرة، وإني أرى ان نأخذ منهم الفدية فتكون قوة لنا على الكفار. وعسى ان يهديهم الله.

وجاء في كتاب مختصر في التاريخ للشيخ أحمد عياد ـ ص 30 ـ طبع تونس ما يلي: في السنة الثانية من الهجرة وقعت غزوة بدر، جيش المسلمين فيها ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وجيش المشركين الف مقاتل. فانتصر المسلمون فيها انتصاراً عظيماً، قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً من بينهم أبو جهل وأسروا منهم سبعين أسيراً وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً ولم يؤسر منهم أحد.

(2) الصواب معاذ بن عمرو بن الجموح.

حضر. وقاتلت طائفة من الملائكة بقوة الآدميين لا بقوتهم الأصلية. ولما أخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب ورمي بها المشركين وقال: شاهت الوجوه وقعت الهزيمة عليهم. وفي هذه السنة غزا بني قينقاع ثم غزوة السّويق في طلب أبي سفيان بن حرب. وفي شوال من هذه السنة غزا بني سليم وفي هذه وقائع السنة الثانية من الهجرة.

فصـــل

وفي صفر من السنة الثالثة غزا نجد يريد غطفان. ونجـد اسم مكان. ثم كانت غزوة أحد في هذه السنة الثالثة في شهر شوال منها وسببها ان قريشاً جاءت لحرب رسول الله ﷺ وفرس أبي بردة بن نيار. وخرج رسول الله ﷺ في سبعمائة وكانت شدة على المسلمين بسبب تحول الرماة من مكانهم. وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يثبتوا في موضعهم، فلما هزم المشركون تشوّق الرماة إلى الغنيمة واستشهد مصعب بن عمير[1] وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ وظن قاتله أنه النبي ﷺ، وخرج صارخ من الشيطان أن محمداً قتل واختلطت الناس وأصيب المسلمون وقتل حمزة بن عبدالمطلب وعبـدالله بن جحش وشماس بن عثمـان، واستشهد واحـد وستون من الأنصار وأصيبت رباعية النبي ﷺ وشجّ[2] جبينه وجرحت شفته السفلى ودخلت حلقتان من حلق المغفر[3] في وجنته[4]، وهو يمسح الدّم

(1) قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه النبي ﷺ، فرجع إلى قريش وقال: قتلت محمداً، فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد. ولما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء لعلي بن أبي طالب، ص 155 ـ ج 2 (الكامل في التاريخ لابن الأثير)، وجاء في ص 154 ـ من نفس الكتاب أن النبي ﷺ أبصر جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم. فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المؤاساة. فقال رسول الله ﷺ إنه مني وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما. قال فسمعوا صوتاً:

لا سيـف إلا ذو الـفـقـار ولا فـتى إلا عـلي

(2) شجّ الرأس جرحه والشجّة جمع شجاج الجراحة وهي في الرأس خاصة.

(3) زرَدٌ من الدرع يلبس تحت القلنسوة جمع مغافر.

(4) الوجنة جمع وجنات : ما ارتفع من الخدين.

ويقول: اللّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. والمغفرزَرْدٌ[1] على شكل الشاشية يهبط منه شيء على الوجه. وقال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر: اجعل قميصي تحت قدمي لئلا يصل شيء من الدم إلى الأرض فإنه إن وصل هلكوا، وأرجو ان يخرج من أصلابهم من يعبدالله وحده ولا يشرك به شيئاً. وفي هذا اليوم أصيب قتادة[2] في عينه وسالت على خده متعلقة بعرق. فقال يا رسول الله ﷺ لي امرأة أحبها وأخاف أن تنكرني. فردّها رسول الله ﷺ بيده المباركة وبصق فيها فرجعت في أحسن صورة. وخرج طلحة بن أبي طلحة من المشركين يطلب مبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج إليه علي فصرعه ميتاً. وقتل من أشراف المشركين نحو عشرين. وكان من المنافقين مع المسلمين قزمان. وقتل أرطأة بن شرحبيل وغلامه صوب. قال النبي ﷺ: إن الله يؤيد. هذا الدين بالرجل الفاجر، وخرج فاشتدت به جراحاته فقتل نفسه، وتخلفت جماعة من المسلمين من بني عبد الدار، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ ﴾[3] وفي آخر هذه السنة كانت غزوة بني النظير (بالظاء المعجمة) وهم حي من يهود حيبر دخلوا في العرب ونسبتهم إلى هارون عليه السلام صحيحة.

فصـــل

وفي السنة الرابعة غزوة ذات الرقاع. وسميت بذلك لأنهم رفعوا فيها رايتهم، وقيل أرض فيها بياض وسواد، وقيل لربطهم الخُرق على أقدامهم. وفيها صلّى النبي ﷺ صلاة الخوف بالقوم.

---

(1) الدرع المزرودة يتداخل بعضها في بعض جمع زرود.

(2) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري. أصيبت عينه في غزوة أحد، وتوفي سنة 23هـ وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري وهو أخوه لأمه رضي الله عنهما - (الاستيعاب) - لابن عبد البر ص 1274 وما بعدها. ج 3.

(3) سورة الأنفال: الآية: 22.

فصـــــل

وفي السنة الخامسة غزا غزوة دومة الجندل وهو اسم حصن ورجع قبل الوصول. وفي آخر هذه السنة غزوة الخندق، وقيل في آخر السنة الرابعة، وهو يوم الأحزاب. واتخاذ الخندق وحفره من مكائد الحروب. وكان أعلى المدينة وحفر فيه النبي ﷺ بنفسه وأشار به سلمان الفارسي، فان أول من ابتدعه الفرس وكان من مكائدهم. كما أن بخت نصّر أول من اتخذ الكمائن في الحروب. وفي هذه السنة كانت غزوة بني المصطلق وبني لحيان وكان بين هذه الغزوات سرايا.

فصـــــل

وفي السنة السادسة كانت غزوة بني قريظة، وغزوة الغابة وقيل فيها كانت غزوة بني المصطلق وبني لحيان. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأقام شهر رمضان وشوّال وخرج في ذي القعدة من السنة السادسة يريد العمرة وهي عمرة الحديبية. والعمرة الزيارة وهي بعض أفعال الحج. والحدب ما ارتفع من الأرض، والحديبية موضع بينه وبين مكة وإلى المدينة تسع مراحل. وخرج رسول الله ﷺ ومعه الناس سبعمـــائة وساق معه الهدي سبعين بدنة[1] والهدي ما يهدى إلى الحرم من النّعم. وكانت المراجفة مع قريش في قدوم المسلمين مكة وتردد الرسل بينهم. وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وجاء الخبر أنه قتل. وأراد النبي ﷺ المناجزة إلى القتال فدعا إلى البيعة، فبايعوه تحت الشجرة على الموت وهم سبعمائة، وقيل ألف ونصف وهي بيعة الرضوان. وأول من بايع عبد الله بن عمر بن الخطاب. وضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على الأخرى لعثمان فكان أفضلهم في هذه البيعة. ومنعهم المشركون من القدوم، وجاء الخبـر أن عثمان لم يقتل وأجمعت قريش على صدهم. وما كانت إرادة رسول الله ﷺ

---

(1) تطلق على الناقة أو البقرة وقد سبق ذكرها.

إلا العمرة. ولما منعوا منع رسول الله ﷺ هديه وحلق رأسه وفعل الناس مثله وبعضهم قصر. ولم يقع سعي ولا طواف وحملت الريح شعر رؤوسهم من الحلّ إلى الحرم. ولذلك عدَّت عمرة في عمره ﷺ إلى المدينة، ونزلت عليه سورة الفتح واستبشر المسلمون.

فصــــل

وفي السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وحاصرهم ﷺ بضع عشر ليلة، وفيها أعطى النبي ﷺ لعلي وكان به رمد فبصق في عينيه فأذهبه الله وفتح الله على يده في شهر محرم من السنة السابعة وأخذت حصناً بعد حصن وقسّم فيها الغنائم. وكانت قبل غطفان جاءت لنصرة اليهود فغلب على ظنّهم أن المسلمين خالفوهم إلى أهلهم فرجعوا على أعقابهم. وقاتل أبو بكر بالناس ورجع ثم قاتل عمر بالناس ورجع، فقال عليه الصلاة والسلام: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه. فخرج بها علي بن أبي طالب. ولما قرب من الحصن قال له يهودي من أنت. فقال علي بن أبي طالب. فقال علوتم. فسأله حقن دمائهم ففعل، وطلب الصلح فرد وصالحوا وكانت خالصة للنبي ﷺ وعامل أهل خيبر لمعرفتهم بخدمة نخيلهم. وفيها اصطفى النبي ﷺ صفية لنفسه، وفيها جعل له اليهودي السم[1] في ذراع شاة مشوية فتكلم الذراع بعد ان

---

(1) جاء في السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني ص 337 - 338. «فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ. فقيل لها الذراع. فأكثرت فيها من السم ثم سمّت سائر الشاة. ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك. قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك. فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر قال فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل.

نهش منه ورمى ما في فيه. وفيها خرج يهودي من زعمائهم فطالب البراز فبارزه محمد بن مسلمة وقتله. وخرج آخر من زعمائهم فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله. ورجع ﷺ إلى المدينة غانماً وأقام بها فبعث سرايا ثم خرج في ذي القعدة من السنة السابعة ليعتمر مكان العمرة التي صُدّ عنها وتسمّى عمرة القضية. والقضية عبارة عن الصلح الذي كتب فيها مع قريش وتسمّى عمرة القضاء لأنها كانت قضاءً عن العمرة التي صُدَّ عنها وفي سفره هذا تزوج ميمونة واختلف هل عقد عليها قبل الاحرام أو بعده. واعتمر من الجعرانة وهو اسم ماء على مكة. ودخل النبي ﷺ على شروط شرطتها قريش، فأقام بها ثلاثة أيام. وفي طواف هذه العمرة هِرول النبي ﷺ وأصحابه ليرى المشركون قوتهم لقولهم وهنتهم حمّى يثرب. ولما فرغوا من العمرة. طلب المشركون خروجهم وقالوا: قد انقضى الأجل الذي ضربناه في العهد. فخرج رسول الله ﷺ في شهر ذي الحجة ومنعوه من الحج ورجع إلى المدينة وأقام المشركون الحج في هذه السنة.

فصل

وفي السنة الثامنة بعث النبي ﷺ جيشاً يبلغ ثلاثة آلاف، فخرجوا في جمادى الأولى لغزو الروم بالشام وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فمن يرى المسلمون. ولما قربوا من أرض الشام بلغهم أن ملك النصارى اجتمع في مائة ألف من الروم ومائة ألف من غيرهم، فتوافقوا وأرادوا أن يكتبوا بذلك للنبي ﷺ، فقال عبد الله بن رواحة: والله ما قتال المسلمين بعدد ولا قوة وإنما قتالهم بالدين. فقالوا صدقت. والتقوا بقرية يقال لها مؤتة، وقاتل زيد حتى قتل فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب[1] فقاتل حتى

(1) إن جعفر هو ابن عم رسول الله ﷺ. وقد كان جعفر من المهاجرين الأولين. هاجر إلى =

قتل. ولما ضربت يده اليمنى جعل الراية في اليسرى، ولما قطعت اليسرى جعل الراية بعضده، ولما ضرب في العضد جعل الراية بين قدميه ولم يتركها حتى سقط بعد تسعين ضربة كلها في مقدّمه وليس في ظهره منها شيء. وكان يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبةً وبارداً شرابها

وكان حين اشتد الأمر نزل عن فرسه وعقره لئلا ينتفع به العدو وقاتل على قدمه، وهذه قوّة النبوة. ولما سقط بضربات الروم قطع نصفين، بادر عبد الله بن رواحة وأخذ الراية وقاتل حتى قتل، فاجتمع الناس على خالد بن الوليد، ودافعوا العدو مدافعة حتى انحاز الجيش وانصرفوا، وخرج رسول الله ﷺ يوم الوقيعة وأعلم الناس بما وقع، وهذا من أخباره بالغيوب. وقال: لقد رفعوا إلى الجنة على سرير من ذهب.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فإذا فيها جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة مع أصحابه. وقال ﷺ في يوم أخباره: لا تغفلوا آل جعفر واصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم. ولما قدم الناس بعد مدة تلقاهم النبي ﷺ ورمى الناس التراب عليهم وهم يقولون: فررتم واختفى محمد بن مسلمة بن هاشم أياماً فإنه كان إذا خرج تبعه الصبيان ويصيحون: يا فار يا فار. وقال النبي ﷺ: «هم الكرّار[1] إن شاء الله».

وفي شهر رمضان من هذه السنة الثامنة من الهجرة غزا النبي ﷺ

أرض الحبشة وقدم منها على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، فتلقاه النبي ﷺ واعتنقه وقال: ما أدري بأيها أشد فرحاً. أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة. وفي السنة الثامنة من الهجرة غزا جعفر في سرية مؤتة فقتل فيها رضي الله عنه (الاستيعاب) لابن عبد البر ص 242 ج 1.

(1) جاء في (الكامل) لابن الأثير ج 2 ص 238. «ويقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله».

مكة وفتحها وهو في عشرة آلاف، وأعمى الله الأخبار من قريش بدعوة النبي ﷺ. ذلك أن قريشاً نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ. ولما قرب المسلمون مكة ركب العباس بغلة النبي ﷺ البيضاء بالليل ليأمن أهل مكة من يحضه على الانقياد، فاجتمع بأبي سفيان والد معاوية وقال له: إن ظفر الناس بك قتلوك. فأردفه وراءه وجاء به إلى النبي ﷺ وعرض عليه الإسلام فتوقف ثم أسلم. وقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً. فأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وقال ﷺ للعباس: سر به واحبسه بمضيق الوادي حتى يمر عليه الجيش كله. ففعل والناس تمر عليه قبيلة بعد أخرى وهو يسأل ويتعجب حتى جاءت الكتيبة العظيمة وفيها رسول الله ﷺ ولا يُرى منهم إلا الحدق من لبس الحديد، فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال العباس: إنـها النبوة.

ودخل ﷺ عنوة، وقيل صلحاً، وضربت للنبي ﷺ قبة بأعلى مكة وغفر وصفح إلّا ابن خضل فإنه قتل لشدة إذايته للمسلمين. وأذن بلال عند الكعبة، وقيل عليها، وأحلت له ﷺ ساعة من نهار ولم تحل لأحد قبله ولا بعده. وقرأ النبي ﷺ: إنا فتحنا، ورفع بها صوته. ولا خفـاء إن النصر مع الصبر. والغادر مغلوب والناكث مسلوب. وسبب نقض العهد منهم أن قوماً من كنانة من حلف قريش عدت على خزاعة من حلف المسلمين وأعانتهم قريش بالسّلاح، وبعث إلى بعضهم وأسلم يوم الفتح كثير منهم كأبي قحافة وأبي سفيان وزوجه هند ومعاويـة بن أبي سفيان وحكيم بن حزام وغيرهم، وفرّ من فرّ، ومنهم من رجع بعد فراره وأسلم كعكرمة بن أبي جهل، ومنهم من أقام على أمان. وعامل النبي ﷺ أهل مكة بما كان من مكارم الأخلاق[1] وعلى القول بأنها دخلها عنوة فقد منّ

(1) لما فتح الله مكة قال الرسول ﷺ: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء فعفا عنهم. وكان الله قد أمكنه منهم

عليهم وأمّنهم في أنفسهم ولا يقاس عليها غيرها على الصحيح. وأقام ﷺ نصف شهر وهو يقصر الصلاة، ثم خرج رسول الله ﷺ واستعمل على مكة عتاب بن أسيد وهو ابن إحدى وعشرين سنة. وكان ممن أسلم يوم الفتح وحج بالمسلمين في ذلك العام. وحج المشركون على عادتهم ولم يزل عتاب والياً على مكة حتى توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر، وكان خيّراً فاضلاً صالحاً. وكان رزقه في ولايته درهماً واحداً في كل يوم، وما اكتسب في ولايته كلها غير قميص واحد. وخرج رسول الله ﷺ في عشرة آلاف الذين فتح الله بهم وفي ألفين من أهلها، وغزا غزوة حنين وأعجبتهم كثرتهم. وكان مالك بن عوف قبل إسلامه جمع هوازن بعد الفتح، وهي قبيلة وافرة من قيس ونزل بهم أوطاس. ولما انحصر المسلمون في الصبح كان العدو كامناً في شعاب ذلك المكان ومضائقه. فخرج العدو خروج اجتماع والمسلمون على افتراق فانهزموا كلهم إلا من كان قريباً من النبي ﷺ. ولما رأى النبي ﷺ شدة الأمر نزل عن بغلته في يمين القوم وقال بأعلى صوته: أيها الناس أنا رسول الله، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وعشرة من أهل البيت: علي بن أبي طالب وقرابته. فاندفع علي بن أبي طالب بعد انهزام المسلمين على صاحب رايتهم السّوداء وصرعه بالأرض، وضرب آخر فمات، وضرب أبو طلحة الأنصاري وحده عشرين، وأخذ سلبهم. وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب ورماهم به وقال: شاهت الوجوه من التشويه، فجعل كل واحد من العدو يمسح التراب عن عينيه، وانهزم العدو وسبا بقدرة الله تعالى. واجتمع السبي ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والغنم ما لا يحصي عدده إلا الله. وما رجع المسلمون من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند النبي ﷺ. ونزل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[1] وعفا الله سبحانه وتعالى عن الفارين يوم حنين: عثمان بن عفان وغيره. وما رجع عثمان إلا

(الكامل في التاريخ) لابن الأثير ج 2 ص 252.

(1) سورة التوبة: الآية: 25.

بعد ثلاثة أيام وأنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[1] وأما الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم حنين فهم أبو بكر وعمر والعباس والفضل ابنه وأبو سفيان بن الحارث ابن عمّه عليه السّلام، وكان حابساً بلجام بغلته عليه الصلاة والسّلام وكان يحبه وشهد له بالجنة، وكان لا يرفع رأسه للنبي ﷺ حياءً منه لإذايته له قبل إسلامه. وكان معه ابنه جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد أخوه لأمه أي من بن عمير. واستشهد في ذلك اليوم وثبت أيضاً أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنهم. وفي هذا اليوم قال رسول الله ﷺ: لَصوْتُ أبي طلحة في الجيش خير من مائة. رجل وانشد العباس بن عبد المطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وفرّ من فرّ فاقشعوا
وثامننا لقي الحمام بسيفه فيها مسّه وهو لا يتوجع

ولما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين غزا غزوة الطائف، وهي الثامنة من الهجرة ونزل قريباً من الطائف وحصرهم أياماً من الشهر ورماهم بالمنجنيق وقطع عنهم، ودخل قوم من المسلمين تحت جدار الطائف للنقب فأرسلوا عليهم سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا وقتل بعضهم بالسهام وهرب من الطائف مالك بن عوف النضري الذي آوى إليهم في هزيمة هوازن وأسلم. ورد عليه رسول الله ﷺ أهله وماله وزاده مائة من الإبل، وقدَّمه عليه الصلاة والسّلام على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيف. وأعطى النبي ﷺ من سبي هوازن عطاءً جزيلاً. أعطى المؤلفة مائة بعير كل إنسان، وأعطى العباس بن مرداس الشاعر مائة، ثم زاده وقال: «اقطعوا عني لسانه» يعني بالعطاء وكان من المؤلفة أشرار من الناس يتآلفهم بالعطاء. ويحبب لهم الإسلام مثل أبي سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية

(1) سورة آل عمران: الآية: 155.

والحارث بن كندة ومالك بن عوف وغيرهم، أعطى لكل رجل من هؤلاء مائة من الإبل، وأعطى لبقيتهم دون ذلك طبقات. وفي هذا المحل قال رسول الله ﷺ ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً ومالي من فيئكم غير الخمس والخمس مردود عليكم. وأعطى النبي ﷺ القبائل كلهم ولم يعطِ الأنصار شيئاً، فوجدوا لذلك فكلمهم خيراً. ودعا لهم فبكوا من الفرح وقالوا: رضينا يا رسول الله وارتحل رسول الله ﷺ على الطائف. وقال لم يؤذن لي في ثقيف. فقال رجل ادعوا عليهم يا رسول الله فقال: اللهم أهدِ ثقيفاً. فكان كذلك. وقدم النبي ﷺ المدينة من الطائف بذي الحجة مكمل السنة الثامنة من الهجرة، ولم يبق عربي إلا وقد أسلم بعد رجوعه عليه الصلاة والسّلام.

فصل

وفي السنة التاسعة في رجب منها غزا غزوة تبوك وتسمى غزوة العسرة. وتبوك إسم مكان انتهى إليه سفرهم. وكانت بين هذه الغزوات سرايا، وحضّ النبي ﷺ الأغنياء على النفقة، فأخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه ألفاً من الإبل تنقص أربعين فكمل الألف بأربعين فرساً، وصبّ في حجر النبي ﷺ ألف دينار ذهباً. قال النبي ﷺ: اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راضٍ ولذلك يقال: مناقب عثمان أنه جهّز العسرة. وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأربعة آلاف دينار ذهباً يعين بها المسلمين. وخرج رسول الله ﷺ وجيشه يزيد على ثلاثين ألفاً وهو يريد الروم بأرض الشام. وفي هذه الغزوة احتاج الناس الماء واشتدّ العطش. فوضع رسول الله ﷺ يده في الماء، قيل وتفجّر الماء من بين أصابعه حتى ارتووا وحملوا وشرب الجيش كلّه. وهذه عادته ﷺ في أسفاره إذا أصبح الناس ولا ماء معهم. ولما نزل ﷺ تبوك يريد الشام أقام بها وبنى بها مسجداً وهو بها إلى اليوم. وفي سفره هذا بعث خالد بن الوليد إلى مدينة الجندل وهو حصن مشهور فأتى بصاحبه وصالحه على الجزية. وفي هذه الغزوة

خلف رسول الله ﷺ على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت اليهود قالت إن كان نبياً فيخرج إلى الشام أرض الأنبياء ومنها يقع التمكن بغزو الروم. فنزل في تبوك قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾[1] وأمره جلّ وعلا بالرجوع، وأخبره أن مأمنه بالمدينة وبها يبعث فرجع رسول الله ﷺ. وإنما سميت غزوة العسرة لأنها وقعت في زمان عسير وحر كثير وتعذر الطهر والزاد وربما اقتسم التمرة الواحدة رجلان. وكان رجوع النبي ﷺ في شهر رمضان من سنة تسع من الهجرة.

وفي هذه السنة أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يقيم الحج بالناس، وهي أول حجة كانت في الإسلام، وكل فرض فبالمدينة نزل إلا فرض الصلاة فبمكة. والسبب في حجه على ما أخرجه السهيلي وغيره أن النبي ﷺ لما خرج إلى تبوك نقض المشركون العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين في الطواف وذكر مخالفة المشركين للمسلمين في الطواف وكونهم عراة في طوافهم، فأمسك ﷺ وبعث أبا بكر رضي الله عنه ونزلت بعده سورة براءة بنقض العهد، وانكشفت سرائر المشركين. ولذلك تسمى الفاضحة. فأمر ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أن يخرج بها ويقرأها على الناس يوم النحر. فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله ما هذا. فقال أردت أن يبلغ عني من هو من أهل بيتي فمضى وأقام أبو بكر الحج بالناس. وفعل علي ما أمره به وجعل المشركون أربعة أشهر من يوم النحر ليرجع كل واحد إلى مأمنه ولا عهد له بعد ذلك. وأمر علي أبا هريرة أن يطوف بالمنازل وأن يطوف بأربع وهي: لا يدخل الجنة مشرك إلا مؤمن ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له. فقال المشركون إذا انقضى الأجل فليس بيننا وبينكم إلا الطعن بالرماح والضرب بالسيوف. فخالف الله ظنهم ودخل الناس في الدين أفواجاً أفواجاً.

(1) سورة الإسراء: الآية: 76.

فصــل

وفي السنة العاشرة لازم رسول الله ﷺ الإقامة بالمدينة، وجاءته وفود العرب من كل وجه، وبعث رسله إلى ملوك الأرض، ونزلت عليه: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[1] وقد أعلم أنه نعى إليه نفسه، وخرج رسول الله ﷺ إلى مكة لخمس ليال بقيت من ذي القعدة ولم يذكر للناس، وأقام الناس حجهم ومعهم من المسلمين أربعون ألفاً. وكانت الوقفة الجمعة باتفاق. وفي ذلك اليوم بعرفات نزل قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[2] وتسمّى حجة الوداع لأن النبي ﷺ وادع الناس فيها تعريضاً ولم يحج ﷺ بعد فرض الحج في السنة التاسعة غير حجة الوداع في السنة العاشرة، وحج قبلها مرتين تطوعاً، واعتمر ﷺ أربع مرّات: عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون، وعمرة ذي القعدة من عام مقبل حيث صالحهم، وعمرة الجعرانة، وعمرة مع حجه. وقال عمرة في رمضان كحجة.

وقال عليه السّلام: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزء إلا الجنة. وقال: من حج هذا البيت لم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.

ولما بلغ رسول الله ﷺ السرف (بالسين المهملة وكسر الراء) وهو اسم مكان على أميال قريبة من مكة وأمر الناس أن يهلوا بالعمرة إلا من ساق الهدي معه، ودخل النبي ﷺ مكة محرماً بعمرة وحجة. وقيل بحجة وقيل متمتعاً. والصحيح أنه أحرم بحجة ثم أحرم بعد ذلك بعمرة أدخلها في الحج فصار قارناً. وأحرم علي بن أبي طالب بما أحرم رسول الله ﷺ وشركه في الهدي. وخطب رسول الله ﷺ يوم عرفة خطبة طويلة جليلة

(1) سورةالنصر: الآية: 1

(2) سورة المائدة: الآية: 3.

مشتملة على كثير من الوصايا والمواعظ والفقه في الدين. ولنذكر بعضها وكان أول ما استفتح به بيان ما يحتاج إليه الناس في حجهم. ثم قال: الحمد لله نستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن يضلل الله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم واحتكموا على طاعة الله، واستفتح بالذي هو خير. أما بعد أيها الناس اسمعوا أبيّن لكم أنكم ستلقون ربكم، يسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله. وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، وكل ربا في الجاهلية موضوع. إن الله قسم لكل وارث نصيبه، فلا وصية لوارث ولا في أكثر من الثلث. الولد للفراش وللعاهر الحجر. إن الله حرم دماءكم وأموالكم إلا بحقها إلى أن تلقون ربكم كمحرمة شهركم هذا، وكل عرفة موقوفة، إلى آخر خطبته عليه السلام. ولم يكن صائماً في يومه ذلك ووقف راكباً ليقصد للسؤال. ولما فرغ من حجه رجع إلى المدينة في بقية ذي الحجة ﷺ.

الفصل الثالث
في وفاته عليه الصلاة والسلام

ولما رجع رسول الله ﷺ من حجه أقام بالمدينة بقية شهر ذي الحجة من سنة إحدى عشر من الهجرة، وأكثر شهر صفر هو ﷺ بين الحلال والحرام والأدب. ومرض رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين من صفر. وسمع في ذلك اليوم عائشة وهي تقول من صداع أصابها وارأساه. ثم تبسّم ودام وجعه وهو يدور على نسائه ولازم بيت عائشة(1)، وخرج في ابتداء مرضه وجلس على المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه واستغفر لأهل أحد ثم قال: إن عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ما

(1) جاء في (عيون الأثر) لابن سيد الناس ج 2 ص 418 - 419 قالت عائشة: رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صراعاً في رأسي وأنا أقول وارأساه. فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. فتبسم رسول الله ﷺ ودام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استغربه (اشتد وجعه) وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي فأذن له. قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر، عاصباً رأسه تخط قدماه الأرض حتى دخل بيتي. قال ابن عباس: الرجل الآخر علي بن أبي طالب. ثم غمر رسول الله ﷺ واشتد به وجعه فقال: اهريقوا علي من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. فأقعدناه في مخضب (اجانة تغسل فيها الثياب) لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم حسبكم. وعن الزهري قال حدثنا أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به. أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال: إن عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله.

عند الله فبكى أبو بكر. فقال: على رسلك يا أبا بكر. ثم قال: سدّوا هذه الأبواب التي في المسجد، وهي جعلها بعض الصحابة مرفقاً لمنزله إلا باب أبي بكر. وقال في مرضه: مـروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. وكان أبو بكر غائباً فصلى عمر بالناس وسمع صوته بالتكبير فقال: أين أبابكر[1] يأبى الله ذلك والمسلمون مروا أبا بكر. فصلى أبو بكر. وقال: لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن صحبة واخاء حتى يجمع الله بيننا عنده. ومرض ﷺ أربعة عشر يوماً. ولما كان يوم الاثنين الثامن لشهر ربيع الأول من سنة إحدى عشر من الهجرة ووافق شهر اشتنبر وهو اليوم الذي قبض فيه خرج إلى الناس وهم يصلّون الصبح، ففرح الناس وهم في الصلاة ووسعوا له الفرجة وأشار إلى أبي بكر أن يثبت فجلس إلى جانب أبي بكر عن يمينه، وصلى قاعداً. وكان أمر أسامة بن زيد على بعث ودعى وطعن في امارة المنافقين فتوقف أسامة لأجل مرضه ﷺ وقال: أكره أن أسأل عنه الناس.

وتوفي ﷺ حين اشتدّ الضحى من ذلك اليوم. قالت عائشة رضي الله عنها: لما رجع رسول الله ﷺ من المسجد اضطجع في حجري فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر بيده سواك فنظـر إليه فعلمت أنه يريد السّواك. فقلت: آخذه لك: فأشار برأسه نعم، فأخذته ولينته وأعطيته إياه فاستن به جيداً ووضعه. ثم ثقل في حجري فنظرت إليه فإذا بصره شخص وهو يقول بالرفيق الأعلى من الجنـة، فعلمت أنه خـير فقبض. قالت فمن سفهي وحداثة سني وضعت رأسه على الوسادة، وقمت مع الناس أضرب وجهي. فقال عمر ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ثم دخل أبو بكر. وكشف عن وجهه وقبّله وبكى ثم خرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ. وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثمّ قرأ[2]. ﴿وَمَا

(1) في مسألة تقديم أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة. انظر سيرة ابن هشام المجلد الثاني ص ـ 652 ـ طبع مصر وغيرها.

(2) في أصل المخطوط فقرأ.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1] فأخذها الناس في أفواههم، وقال عمر: ما كأني سمعتها. وانحاز الانصار في سقيفة بني ساعدة وتشوفوا إلى الخلافة واشتغل علي بالمصاب العظيم. واجتمع المهاجرون بأبي بكر وأفصح. فقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير وكثر اللغط. فأخذ أبو بكر بيد عمر وبيد أبو عبيدة بن الجراح وقال: رضيت لكم هذين الرجلين. وقال عمر: لا تأمر على قوم فيهم أبو بكر. وقال غيره رجل ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا. فبايعه عمر وبايعه المهاجرون ثم الأنصار. فقام أبو بكر فخطب بما ينبغي[2] وقال: أيها الناس أطيعوني ما اطعت الله ورسوله وإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. وسأل أبو قحافة فقيل له بويع أبو بكر فقال لا مانع لما أعطى الله. وكملت البيعة يوم الثلاثاء. وفيها غسّل رسول الله ﷺ وتولى غسله عمه العباس وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأخوه قثم. وكان يصب الماء أسامة بن زيد وشقران وعلي بن أبي طالب يدلكه في قميصه، وكان في ثلاثة أثواب بيض سحولية أي نسج القرية التي يقال لها سحولا واختلف في مكان دفنه فقال أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض فحفر له في مكان فراشه. وكان أبو عبيدة وأبو طلحة يحفران للموتى احتساباً لله ورغبة في الأجر. وأبو عبيدة يشق وأبو طلحة يلحد. فبعث إليهم العباس وقال: اللهم اختر لنبيك، فوجد أبو طلحة يلحد له. وكان ﷺ جمع أهله ونساءه في بيت عائشة وأعلمهم بحضور أجله فبكى وبكوا فقال: من يصلِّ عليك يا رسول الله وكأنهم سألوه عن الخلافة بعده. فقال: مهلاً عليكم غفر الله لكم وأجزاكم خيراً عن نبيّكم. إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على شفير

(1) سورة آل عمران: الآية: 144

(2) انظر خطبة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في (السيرة النبوية) لابن هشام المجلد الثاني ص 661.

قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي عليّ جبريل. ثم ميكائيل. ثم إسرافيل. ثم ملك الموت وجنوده. ثم الملائكة، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا عليّ وسلموا تسليماً.

وسأل الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقالوا: كيف نصلي[1] عليه فقال: اسألوا علي بن أبي طالب. فسألوا علياً فقال: قولوا﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[2]. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. ولما وقف عمر للصلاة اثنى عليه كثيراً وذكر بعض محامده، ثم صلّى عليه أهل بيته، ثم الرجال، ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد. ودفن ﷺ ليلة الأربعاء، وأدخله في قبره عمه العباس وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقثم بن العباس. وقالت بنو زهرة: نحن أخواله فادخلوا منا رجلاً، فادخلوا عبد الرحمن بن عوف، ودخل أسامة بن زيد مولاه، وشقران مولاه، وهو الذي ألقى القطيفة تحته، ودخل المغيرة بن شعبة وآخرهم خروجاً قثم بن العباس، وقيل المغيرة بن شعبة، ودك التراب وانقطع الوحي، وانقرضت النبوءة وتأنّس المسلمون بعده بكتاب الله وحديثه عليه الصلاة والسلام، فيقال انزل عليه كذا وكذا. ووقفت فاطمة ابنته عليه الصلاة والسّلام على قبره بعد دفنه وانشدت:

قل للمغيب تحت أطباق الثرا ... هل تسمعن صراخي ونـدايا
هذا على من شمّ تربة أحمد ... ألا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت علـيَّ مصائب لـوانها ... صُبّت على الأيام عدن لياليا

وبكى الناس في ذلك اليوم بكاءً شديداً، ورثاه أبو بكر وعمر وغيرهما. وأنشدت أيضاً:

قد كانت بعدك أنباء ... لو كنت تشهدها لم يكثر الخطبا

---

(1) في أصل المخطوط كيف نصلوا عليه. (2) سورة الأحزاب.

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك بعد العهد واحتزبا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنا وكل الخير محتجبا
وقد رزئنا بما لم يرزه أحد ... من البرية لا عجماً ولا عربا

وارتد كثير من أحلاف الاعراب بعد موته ﷺ، وظهر النفاق.ثم اصلح الله الأمر بولاية أبي بكر، وثبت الله الإسلام بخلافته.

فصل

وأما حكم تركته عليه الصلاة والسّلام.فالأصل في ذلك ما خرّجه البخاري عن عمر بن الحارث قال: ما ترك ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضا جعلها صدقة. وقال ﷺ: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة. وأجمع أهل السنة أن هذا حكم جميع الأنبياء. وقال ابن علية: إن ذلك لنبينا محمد ﷺ وحده دون النبيين.والذي يستحق ميراثه عليه الصلاة والسلام لكان موروثاً.زوجاته التسع وابنته فاطمة وعمه العباس خاصة. وحساب المسألة اثنان وسبعون.

وقال عليه الصلاة والسّلام:لا نورث ما تركنا فهو صدقة.هو برفع صدقة، وبه أجاب أبو بكر فاطمة فإن مذهبها الارث.حين طلبت ميراثها فمنعها. وزعم عبد الله بن المعلم من أئمة الإمامية أن صدقة بالنصب على الحال ونورث باليـاء وذلك باطل.

فصل

وكـان لرسـول الله ﷺ من الخيل عشـرة، منهم فرس يقـال لها السّكب[1] قاتل عليه يوم أحد وكان غراً محجلاً، وفرس اليمنى اسمها

(1) كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس. اشتراه بعشرة أواق أول ما غزا أحدا ليس للمسلمين

سنجة وسابق عليه فسبق، وآخر يقال لها المرتجز، وآخر يقال لها المذرار أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية، وآخر يقال لها النجيب أهداها له تميم الداري، وآخر اشتراه من تجار اليمن وسبق عليه ثلاث مرات. ومسح ﷺ وجهه بردائه وقال: ما أنت إلا بحر. وكان له ﷺ من البغال ثلاثة: الدلدل[1] وهي التي أهداها له المقوقس، وآخر أهداها له أبو بكر وآخر أهداها له ليلة. وكان له حمار يقال له اليعفور[2] وكان يرسله لمن أراد من أصحابه فيضرب الباب برأسه فيخرج ويمضي معه. ولما توفي رسول الله ﷺ ألقى الحمار نفسه في البئر ومات. بعد أن تكلم وقال لا يركبني أحد بعده. ولم يقتنِ ﷺ من البقر شيئاً. وكانت له عشرون لقحة بالغابة، وكانت له مهرية أهداها له سعد بن عبادة، وكانت له ناقة عجيبة يقال لها العضباء[أ]، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها. وكانت أخرى يقال لها الجدعاء وسبقها غيرها مرة فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: إن حقاً على الله ألاَّ يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه. وكانت له عليه الصلاة والسلام مائه من الغنم منها شاة يشرب لبنها اسمها غيثة وكان في منزله ديك أبيض.

فصل

وسلاحه ﷺ ثمانية أسياف، منها سيف ورثه من أبيه وارفعه قسي كلها عربية. وكانت له خمسة أرماح. وكانت له من الدروع ستة فيها درع

غيره (عيون الأثر) لابن سيد الناس ج 2 ص 401 قال ابن الجوزي في كتابه (الوفا بأحوال المصطفى) ج 2 ص 575: أول فرس ملكه رسول الله ﷺ فرس يقال له السكب.

(1) هي بغلة شهباء أهداها له المقوقس مع حمار يقال له عفير (عيون الأثر) ج 2 ص 402

(2) أهداه له فروة بن عمرو الجذامي مع بغلة يقال لها فضة (عيون الأثر) ج 2 ص 402

(أ) كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تسبق. فجاء أعرابي على قعود له فسبقها. فشق ذلك على المسلمين فقال. ما لكم؟ قالوا. سبقت العضباء فقال: إنه حق على الله عز وجل ألاَّ يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه. (الوفا بأحوال المصطفى) لابن الجوزي ج 2 ص 576.

داوود عليه السلام. وكان له ترس أهدي له، وكانت فيه صورة عقاب فوضع عليه يده فامتحى. وكان له علمان أكحل وأبيض وهو اللواء، وكان له مغفر وهو زرد لكسوة الرأس وبعض الوجه. وكانت له منطقة[1] من جلد مبشورة[2] فيها ثلاثة حلق من فضة وأبزيم من فضة وطرف من فضة ولها قضيب يسمى المشوق، وكانت له عنزة[3] وهي عماد الرمح تركز أمامه سترة للصلاة، وبقيت إلى أيام المأمون، وكان نصل سيف رسول الله ﷺ وكذلك قبعة وما بين ذلك حلق من فضة.

فصـل

وترك رسول الله ﷺ يوم مات من الثياب أربعة أزر وقميصاً وجبة وكساء وملحفة وقميصاً وعمامة وبردة حمراء وقلانس وقباءً ورداءً وفراشاً وقطيفة حمراء وسريراً وثياباً للجمعة غير التي يلبس في سائر الأيام، ومنديلاً يمسح به بعد الوضوء للصلاة، وكانت له ﷺ جوبة[4] فيها مـرآة ومشطة من عاج ومكحلة ومقراض وهو المقص وسواك. وكان له قدح مضبب بالفضة في ثلاثة مواضع، وكان له تنور من حجر وهو إناء، يشبه الطست ومغتسل من صفر[5] يشبه السطل الواسع، وارجانه وهي لغسل الثياب. وكان له إناء من نحاس يشبه الكوز، يعمل فيه الحناء والكتم[6]. وكانت له قصعة تسمّى الغرّاء يحملها أربعة رجال، وركوة[7] وصاع لزكاة الفطرة، ومد للكيل،

(1) بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء والقاف. ما ينتطق به جمع مناطق. يقال تمنطق أي لبس المنطقة كتمدرع وتمندل من المدرعة والمنديل

(2) من بَشَرَ بشْراً الجلد قشر بشرته التي ينبت عليها الشعر

(3) العنزة هي رميح بين العصا والرمح فيه زجّ. وهو الحديدة التي في أسفل الرمح.

(4) جوبة الحفرة والمكان الوطىء في أرض صلبة. والجوبة هي مكان في دار الرسول ﷺ يجعل فيه أشياءه

(5) الصفر (بالضم) من النحاس وصانعه الصفار.

(6) الكتم نبت يخلط بالحناء ويخصب به الشعر فيبقي لونه.

(7) الركوة: إناء للماء من جلد خاصة.

البَابُ الرَّابِع

في نُبَذٍ مِن مُعجِزاتِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام

أعلم أن معجزات النبي ﷺ كثيرة،ولا يحيط بها أحد،ولا يحصرها عدد، قد جمع الحافظ أبو بكر محمد بن العربي في كتابه المعروف بأنوار الفجر،ألف معجزة واعترف بالعجز منها: القرآن وهو من أعظم المعجزات، ووجه اعجازه التآم كلماته وبراع براعته في أحكامه وقصصه، وكونه نزل بدار أرباب الفصاحة ورؤساء البلاغة،ونودي به على رؤوسهم ومجتمعهم في مدة تزيد على عشرين سنة،وعجزوا عن المعارضة. وصدر منه ﷺ في هذه المدة اليسيرة من العلوم والسنن والآداب والمحاسن ومصالح الدنيا والآخرة،ما تعجز عنه الأمم الماضية في آلاف السنين.

فصل

ومن آياته أنه ﷺ مختوناً[1] ويروى مقطوع السّرة. وقال جده عبد المطلب: سيكون لبني هذا شأن عظيم. وعن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان وصرعه وشق جوفه واستخرج منه القلب وأزال منه علقة. وقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم،ثم أعاده في مكانه. وقال الغلمان قتل محمد. قال أنس وكنت أرى ذلك الخيط في مدة. وقال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً

(1) لعله يقصد ،به ولد مختوناً.

بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث. وظللته الغمامة قبل أن يبعث، واستدار ظل الشجرة إليه حين سبقه الناس إلى ظلها وهو لم يبلغ الحلم، وكانت له في صغره عليه الصلاة والسلام عجائب وآيات.

فصل

ومن معجزاته ﷺ اخباره عن بيت المقدس، وقد رفع إليه وهو يصفه، ومنها أن أهل مكة سألوه أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فلقة. وهي معجزة الانشقاق، ومنها أن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله وجلسوا عند بابه فخرج إليهم وبيده كف من تراب، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وجعل التراب على رؤوسهم. ومنها أنه قام عليه الصلاة والسلام يصلّي بمكة فقام إليه أبو جهل ليؤذيه ثم رجع هارباً فقيل له: ماذا؟ قال: رأيت بيني وبينه خندقاً من نار. ومنها أن أبا جهل اشترى من رجل إبلاً وماطله بالثمن فقال: يا معشر قريش من يخرج لي حقي: فدلّوه على رسول الله ﷺ وهم يهزأون به، فقام معه ودق الباب على أبي جهل وقال: أعطه حقه. فقال نعم. ولما دفع له وخرج سألوه وقال رأيت فوق رأسي فحلاً من الإبل لو امتنعت لأكلني.

ومنها ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى بعض نواحي مكة، فما استقبله حجر ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله. ومنها حنين الجذع. قال أنس: كان رسول الله ﷺ يخطب ويستند إلى جذع فاتخذوا له منبراً فحنّ الجذع حنين الناقة. فنزل عليه الصلاة والسلام ومسّه فسكن. ومنها دعوة العرق من النخل. عن ابن عباس جاء إليه أعرابي قال له: بم اعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العرق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله. قال نعم. فدعاه فجعل ينزل حتى وصل ثم قال له: ارجع. فرجع فأسلم الاعرابي.

ومنها أنه مسح على وجه عمرو بن الأخطب فدعا له فعاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعرات بيض. ومنها رجف أحد روى أنس أن رسول الله ﷺ صعد جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اسكن إنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان.

ومنها أنه رمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله. ومنها ما كان من سراقة بن مالك حين تبعه في الهجرة، فساخت قوائم فرسه في أرض يابسة، واستغاث به فأغاثه. ومنها شاة أم معبد[1] وكانت حائلة فمسح على ظهرها فدرّت باللبن.

ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود، قال: كنت غلاماً أرعى غنماً فجاء النبي ﷺ حين فرّ من المشركين فقال: يا غلام هل عندك لبن؟ فقال إني مؤتمن. قال: هل عندك جذعة غنم لم يأتها فحل فأتيته بها، فمسح على ضرعها ودرّ لبنها.

ومنها أنه مسح على ضرع شاة خباب التميمي فدرّت باللبن. ومنها تكثير القليل في التمر، وفي الخبز، وفي الطعام المصنوع. وتكرر ذلك وكثر مع أهل الصّفة وغيرهم. وأهل الصّفة أضياف الإسلام لا أهل لهم ولا مال، وإذا أتت صدقة بعث بها إليهم. ودخل عند أبي أيوب الأنصاري حين قدم المدينة فصنع له طعاماً قليلاً لعزة وجوده. فقال: ادع ثلاثين، فأكلوا فقال: ادع ستين، فأكل من ذلك الطعام القليل مائة وثمانون من الأنصار

(1) لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وابن أريقط يدلهم على الطريق مروا بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفهم فقال لها يا ام معبد هل عندك من لبن؟ قالت: لا والله، وإن الغنم لعازبة قال: فما هذه الشاة التي أرى (شاة رآها في كفاء البيت) قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: أتأذنين في حلابها؟ قالت: لا والله ما ضربها فحل قط فشأنك بها فدعا بها فَمَسحَ ظهرها وضرعها ثم دعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه فملأه، فسقى أصحابه عللاً بعد نهل. ثم حلب فيه آخر، فغادره عندها وارتحل (عيون الأثر) لابن سيد الناس جـ 1 ص 228.

وأسلموا كلهم. ودعا أبو طلحة الأنصاري لأقراص من شعير بادام فقام بمن معه من الناس فجعلوا عليه عشرة بعد عشرة حتى شبعوا وهم ثمانون.

وكان ﷺ عروساً بزينب، فأهدي له طعام قليل فقال: يا أنس ادع لي فلاناً وفلاناً تم ادع لي من لقيت. ففعلت واجتمع الناس نحو ثلاثمائة فأكلوا كلهم منه.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1]. دعاهم وجمعهم على فخذ شاة وقدح لبن فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى رووا، وأطعم ألفاً من صاع بالخندق وشبعوا والطعام أكثر مما كان. وأطعم جماعة من تمر يسير. وأجمع فضل الأزواد[2] على النّطع[3] ثم قسمها على العسكر. وأتاه أبو هريرة بتمرات في يده فمسّها فاكتال أوسقا. ودعا أبو هريرة أهل الصّفة إلى قصعة من ثريد فلم يجلس أبو هريرة حتى قام القوم ولم يفضلوا غير لقمة،فمسّها عليه الصلاة والسّلام بيده وقال: كل يا أبا هريرة فأكل منها حتى شبع. وأهدت له أم مالك سمناً في عكة، فلما فرغ رجعت مملوءة كما كانت، وقال لها: هذه بركة عجّل الله لك ثوابها، واعلمها أن تقول دبر كل صلاة: سبحان الله والحمد لله والله أكبر عشر مرات.

ومنها نبع الماء من بين أصابعه في قدح،وقال: هلموا. ووقف في غزوة تبوك على ماء قليل فغرس فيه سهماً من كنانته،ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً. وشكى إليه قوم ملوحة بئرهم فوقف على البئر فتفل فيه فتفجّر بالماء العذب. ودخل حائط جابر فوجده قد جمع تمراً قليلاً وشكا إليه بغرمائه، فمسّه بيده وقال له: اقض ما عليك فأوفى غرماءه وفضل

(1) سورة الشعراء: الآية: 214.
(2) الازواد: مفردها زاد وهو على ما يتخذ من الطعام للسفر.
(3) النّطع: بساط من الجلد يُفرش.

ثلاثة عشرة وسقا. ومنها إجابة الجمادات دعا لحجر فجاء إليه،ودعا لشجرة فجاءت بعروقها،وأمرها أن ترجع فرجعت،وسبح الحصى في كفه، كذلك الطعام. قال أبو ذر: سمعت تسبيح الحصى في كفه. ثم كذلك لعمر، ثم كذلك لعثمان،ثم وضعهن فخرص. وجاء رسول الله ﷺ إلى منزل العباس فقال: السّلام عليك ورحمة الله. فقال: وعليك السلام ورحمة الله قال: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا بخير والحمد لله فقال: كيف أصبحت يا نبي الله؟ قال: أصبحت بخيربحمد الله. ثم قال: تقاربوا (يريد بعضهم إلى بعض) ثم اشتمل عليهم بملاَءة، وقال: يا رب هذا عمي صنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار. فقالت الاسكفة آمين آمين آمين. والاسكفة عتبة الباب التي يوطأ عليها وجعلت اليهود له شاة فيها سم، فأخبره الذراع أنها مسمومة. فقال لهم: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت صادقاً لن يضرك. فتجاوز ﷺ. وقال له إنسان: ادع لشجرتين فدعاهما واجتمعتا عليه فلما استيقظت ذكرت لما جاءتا فقال عليه الصلاة والسّلام: هذه استأذنت ربها أن تسلم عليَّ فأذن لها وشهدت له شجرة بالرسالة ثلاث مرات حين طلب الأعرابي منه ذلك وأسلم. وشكا إليه بعير قلة العلف وكثرة العمل. وسألته الظبية أن يخلصها من الرباط لترضع ولدها ثم تعود، فخلصها ونطقت بالشهادة.

ودخل عام الفتح فوجد الأصنام عند الكعبة،فأشار إليها بالقضيب. وقال: جاء الحق وزهق الباطل فتساقطت. وشهد الضب بنبوءته عليه الصلاة والسّلام.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسّلام إجابة دعوته في غير ما موضع. قال جابر بن عبد الله: كنت أسير على جمل ضعيف فدعا له بالقوة فسار سيراً شديداً. وقال عبد الله بن أبي الجعدي: كنت في غزوة على فرس ضعيفة فمر بها. وقال:اللهم بارك فيها فما ملكت رأسها،وبعت من بطنها باثني عشر ألفاً. ودعا لعلي بن أبي طالب أن يذهب عنه الحر والبرد فكان

سواء عنده. ودعا لأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فكان كذلك. وبعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى قومه وقال. اللهم اهدِ دوساً واجعل له آية فجعل الله له نوراً في طرف سوطه، يضيء في الظلمات وأسلمت قبيلته. وقال أبو هريرة شكوت إليه كثرة نسياني فقال ابسط رداءك فبسطته ودعا وقال ضمّه. فما نسيت شيئاً بعد ذلك. وقال قلت يا رسول الله آدع أمي للإسلام فدع، ولما رجعت إلى البيت وجدتها تغتسل للإسلام. وقال قلت يا رسول الله آدع الله أن يحببني لأمتك فدعا لي فهو محبوب عند الأمة. وقال عثمان بن أبي العاص. قلت يا رسول الله دخلني النسيان فدعا لي فما نسيت شيئاً. ودعا الله أن يعزّ الإسلام بعمر فأسلم. ودعا لابن عباس في الفقه في الدين إلى غير ذلك من مواطن دعواته المقبولة.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسّلام ذهاب الألم وشفاء المرضى، أتت إليه آمرأة بابن لها ذهب عقله فمضمض عليه الصلاة والسّلام بالماء فقال اسقه ففعلت ذلك، فصار أعقل الناس. وجيء بمصروع فمسح عليه فبرىء. وقال عتبة بن فرقد: أصابني ألم فجئته فتفل في يدي ومسح ظهري وبطني، فذهب الألم ولازمني ريح أطيب من المسك. ولما أسلمت زنيرة مولاة أبي بكر وكانت رومية عميت بعد ذلك، فقال المشركون كفرت بالصنم فعميت، فردّ الله عليها بصرها.

وجاء رجل أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال: آدع الله أن يكشف لي عن بصري. فقال توضأ وصلِّ ركعتين. ـ وقل: اللهم إني توجهت إليك بنبيك نبي الرحمة أن تكشف لي عن بصري. ففعل ـ فرد الله عليه بصره. وجاءت إليه آمرأة بابن لها صغير أصابه الصرع فقال: اخرج عدو الله أنا رسول الله فبرىء، وأهدت له بعد ذلك كبشين، فقبل أحدهما ورد الآخر. وقال عثمان بن أبي العاص أصابني وجع فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال لي ضع يدك عليه، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما

أجد سبع مرات،ففعلت وذهب عني. ومسح على رجل أبي رافع حين انكسرت فانجبرت. ومسح ﷺ على رأس محمد بن أنس بن فضالة وهو ابن عشر سنين فطال عمره وشاب منه كل شيء إلا موضع يده عليه الصلاة والسّلام. وضرب سلمة بن الأكوع يوم حنين في ساقه وقوي وجعه فتفل ﷺ على مكان الوجع فبرىء. وجيء بأم زفر حين أصابها الجنون، فقال لأهلها إن شئتم دعوة الله وتبرأ، وإن شئتم تركتموها،ولا حساب عليها. فخيَّرها أهلها فاختارت الا حساب عليها. ومسح ﷺ على رأس أقرع فاستوى شعره، وردّ عين قتادة بعد أن سالت على خدّه.

ومن معجزاته ﷺ الإخبار بالغيوب والتكلم على ما في الضمائر، وذلك في غير ما موطن بما هو كثير شائع. ومن ذلك قوله لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. وآخر شربة شربها من الدنيا شربة لبن وتقدّم للقتال يوم صفين وقاتل حتى قتل. وأخبر ﷺ عن مصارع المشركين يوم بدر، فوجد كل واحد في مصرعه الذي أخبر به. وأخبر عن الذين يغزون في البحر، وأن أم حزام بنت لمحان منهم فكان كذلك. وقال: في عثمان بن عفان تصيبه بلوى شديدة، وكان من أمره ما كان. وقال: للأنصار إنكم ستلقون اثرة فكانت في أيام معاوية. وقال في الحسن إن ابني هذا سيدٌ وأن سيصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين وأصلح الله بتأخيره عن الخلافة لمعاوية بين أهل العراق وهم أربعون ألفاً وبين أهل الشام. وأخبر بقتل العباس الكذاب ومن يقتله في الليلة التي قتل فيها وهو بصنعاء. وقال لثابت بن قيس تعيش سعيداً وتقتل شهيداً، فقتل يوم اليمامة. وارتد رجل بعد أن حفظ من القرآن شيئاً فبلغه أنه مات، فقال: إن الأرض لاتقله، فكلما دفن وجد على وجه الأرض فترك. وقال:لفاطمة إنك أول أهل بيتي لحوقا بي فكان كذلك، وهاج ريح فقال: هذه بعثت لموت منافق فمات بالمدينة رجل من عظماء المنافقين. ومن معجزاته ﷺ ظهور بركته التامة. ومنها أن أم جميل أخت أبي سفيان آمرأة أبي لهب قصدته بحجر حين نزلت

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾[1] فلم تره. وقال عليه الصلاة والسّلام: حال بيني وبينها ملـك. وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فناوله عودا من حطب فصار سيفاً. وكذلك فعل مع عبد الله بن جحش يوم أحد. وورث عنه وبيع بمائـة دينار. وعرضت لهم في حفر الخندق صخرة شديدة فأخذ عليه الصلاة والسلام المعول وضربها فتفتت كالرمل. ومرّ رسـول الله ﷺ بجمع من الرماة وهم يرمون وفيهم ابن الأدرع ـ كذا ـ[1] فقال: ارموا وأنا مع ابن الأدرع. فأبوا. فقال: آرموا وأنا معكم كليكم، فرموا يومهم فتفرقوا على السّراء لم يغلب بعضهم بعضاً.

وانصرف قتادة في ليلة مظلمة فناوله عرجوناً فضاء له كالمصباح، فمضيا في ضوئية واحدة حتى افترقا في الطريق ضاءت الأخرى للأخرى. وركب ﷺ فرساً قطوفاً[1] لأبي طلحة فما سبق بعد ذلك اليوم. وهاج جمل ولم يستطع أحد عليه فدعاه وجاء فبرك بين يديه حتى حبسه صاحبه. وسجد له عليه الصلاة والسّلام الغنم والجمل، فقال أبو بكر: نحن أحق بالسجود منهم. فقال ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ولو ابتغي لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

وقال سفينة مولى رسول الله ﷺ: خرجت من البحر في أرض الروم وخطأت أنا ومن معي الطريق، فخرج علينا الأسد فقلت أبا الحارث أنا سفينة خديم رسول الله ﷺ. قال فمشى بين أيدينا حتى وقفنا على الطريق، ووقف كأنه يوادعنا. قال سفينـة وخرجت مرة مع رسول الله ﷺ فثقل على أصحابه متاعهم فقال: ابسط كساءك، وبسطتهـا وجعلوا متاعهم فيهـا وحملتها ووجدت خفّة. فقال عليه الصلاة والسّلام: ما أنت إلا سفينة.

---

(1) سورة المسد: 1.

(2) كلمة غير مفهــومــة.

(3) فرس قطوف: ضاق مشية وأبطأ.

وصنعت آمرأة طعاماً لرسول الله ﷺ بشاة أخذتها بغير إذن أهلها حتى تؤديها، فأخذ من الطعام لقمة وثم وضعها وأخبرها بما فعلت، وقال، اطعميه الأسارى.

ومن معجزاته ﷺ شهادة الموتى له بما جاء به، فتكلم زيد بن خارجة بعد موته فقال: أحمد صدق صدق، وأبو بكر صدق صدق. وعثمان بن عفان على منهاجهما. وتكلم ثابت بن قيس وهم يدخلونه في قبره فقال: محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان بن عفان. وتكلم رفيع بن حداش بعد موته. وكان كثير الصوم والصلاة فقال: السلام عليك لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان وهو راضٍ غير غضبان وكساني ثياباً خضراً من سندس أخضر.

ومن معجزات النبي ﷺ كثير من أن يحصرها كتاب، ويجمعها ديوان، والقليل منها دل على الكثير.

البَابُ الخَامِسُ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ السَّنِيَّةِ أَحْوَالِهِ وَفَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَآلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الفصل الأول
في ذكر بعض السّنية أحواله

أما صفته ﷺ، فكان ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس كثير الشعر، كثيف اللحية، أبيض اللون، مشوب بحمرة في وجهه تدوير، أدعج العينين، أهدب الأشفار، يفضله ناظره في جماله على الشمس والقمر. إذا مشى كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت بجميع البدن، وبين كتفيه خاتم النبوءة كرز الحجلة بفتح. وهي غرة الفرس التي بين عينيها وقيل كالتفاحة من رآه هابه، ومن قرب منه أحبّه، عرقة طيب ورائحته أطيب من رائحة المسك. وكان أجود الناس كفاً، وأوسعهم صدراً، وأصدقهم لهجة، وأوفرهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة. يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وقد أثنى الله على خلقه الجميل فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] يريد أنه يعفو ويصفح ويحسن ويعرض عن الجاهل. وفي مدحه قال بعضهم:

يا أيها المتعاطي وصف سؤدده لا تعرض الليل والبحر بالقمر
فإنه كان مفطوراً على شيم معدومة المثل لم يلحقن في البشر

فكان ﷺ فيه الحلم والاحتمال، والعفو مع القدرة في جميع

(1) سورة القلم: الآية: 4.

الأحوال، والصبر والجود والسخاء والكرم والشفقة والتواضع والحياة وحسن العشرة والصدق والعفاف والوفاء. وحسن العهد لينّ الجانب والزهد في الدنيا والقوة في الأعضاء. وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ويكافي عليها، ويكثر التبسّم ويتخلق بالقرآن. ولما صدر من قومه ما صدر فقال: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. وقال له جبريل عليه السلام: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد ﷺ. قال رسول الله ﷺ عرض عليّ أن يجعل بطحاء مكة ذهباً وفضة، فقلت: لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً. فأما الذي أجوع فيه فأتضرّع إليك، وأما الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك. وقال: أفلا أكون عبداً شكوراً!!

وأعطى الله لنبيه محمد ﷺ من الفضائل ما لم يعطه لأحد من خلقه. قال: رسول الله ﷺ: أنا أكرم الأولين والآخرين، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفّع، وفضّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلتُ إلى الخلق كافة، وختم بي النبيين. وقال رسول الله ﷺ: الكوثر الذي وعدنيه ربي نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج.

ومن أعظم درجة المبرّة، أن اقسم جلّ وعلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] وما أقسم الله بحياة أحد إلا بحياته وقال ابن العربي: اقسم بغبار خيله. فقال: ﴿وَالْعَـٰدِيـٰتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيـٰتِ قَدْحاً فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾[2] وقال الجوزي اقسم بتراب قدميه فقال. ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ﴾[3] واقسم جلّ وعلا على تحقيق مكانته فقال: والضحى إلى

(1) سورة الحجر: الآية: 72

(2) سورة العاديات: الآية: 1, 2, 3.

(3) سورة البلد: الآية: 1.

آخرها. وفي العرش مكتوب، لا إلّه إلا الله محمد رسول الله، اتيته بعلمي واستشفع به آدم وموسى، وانفلق له البحر حتى توسل به.

ومن خواصه ﷺ أنه كان يرى في الظلمة ما يراه في الضوء، ويرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه. وكان شيطانه كافراً فأسلم. وكانت الأرض تبتلع بوله وفضلته، ويفوح من ذلك المكان ما هو من أطيب من ريح المسك. وكان لا ينزل عليه الذباب، وكان محفوظاً من الوسخ في الثوب والبدن، من القمل والحدث في النوم والاحتلام والتثآب. وكان يبدأ من لقيه بالسّلام والمصافحة، ويكرم من يدخل عليه ويرحب به ويناوله الوسادة ولا يقطع على أحد حديثه، ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم إليهم، ويجلس حيث ينتهي إليه الجلوس. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة، فقال: هوّن عليك. فإني لست بملك. وقال: إنما أنا عبد الله ورسوله ﷺ.

الفصل الثاني
في الصلاة عليه وعلى آله

اتفق العلماء، على أن الصلاة على النبي ﷺ فريضة، واختلفوا في محل الفريضة، فالجمهور مرة في العمر، وما بعد ذلك مندوب إليه. واختلف في محل الندب، فقيل مرّة في المجلس الذي يجري فيه ذكره عليه الصلاة والسّلام. وقيل كل ما جرى ذكره. وذهب الشافعي وابن المواز من المالكية، ان من لم يصلِّ عليه بعد التشهد الثاني وقبل السلام في صلاة الفرض فصلاته باطلة، ومشهور مذهبنا وهو قول الخطابي من الشافعية انها صحيحة. وفرق إسحاق بين السهو والعمد فتبطل في الأول دون الثاني. وقد ورد في الحث عليها والترغيب فيها أحاديث كثيرة صحيحة، دلّت على منزلته الشريفة عند ربه جلّ وعلا. ولا خلاف في جواز الصلاة على النبي ﷺ وأزواجه وذرياته ممن يقتدى به عند ذكر فاطمة والحسن والحسين وأبيهما، وهو قولي: صلى الله على الجد والأب والأم والبنين، وهذا لا يرده مؤمن. وتعسف وابتدع وانفرد صلى الله على الجد ورضي عن الأم والبنين. ولا خلاف بين الأئمة أنه من آله. وقد قيل له كيف نصلِّي عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا صلى الله على محمد وعلى آل محمد. قال ﷺ أنا شجرة وعلي وفاطمة فرعها. والحسن والحسين ثمرتها، ومحبوبهم من أمتي ورقها. وعن كعب الأحبار، أنه ارتفع حتى رأى في الفردوس قصراً من الياقوت الأحمر، وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين. ورجع آدم مفتخراً بهم

لخروجهم من صلبه. وأنشد الفقيه المحدث أبو عبد الله الأنباري رحمه الله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

يريد ما يقول المصلي في آخر التشهد أخذاً بقول ابن المواز، وأن من لم يقل وعلى آل محمد لم يجزه، قول اللهم صلِّ على محمدٍ دون ذكر الصلاة على الآل. وكذلك وقع لي في بعض خطبي ولم اسمعه من غيري، وهو اللهم صلِّ على محمد، أنا من سوالك بتخفيف الواو والفقر إلى نوالك، لا نجد شفيعاً إليك أفضل من سيدنا محمد ﷺ. ومعرفتنا أنك أعظم من لجأ إليه المضطرون فتأمل ذلك حشرنا الله معهم ونفعنا بمحبتهم.

واختلف في جواز الصلاة على أزواجه عليه الصلاة والسّلام وذريته على الانفراد من غير الصلاة على النبي ﷺ على ثلاثة أقوال: الأول الجواز لأن معنى الصلاة الترحم والدعاء والقول الثاني المنع واختاره ابن عبد البر. والقول الثالث الكراهة. وهذه الأقوال الثلاثة جارية في غيرهم من الناس. وفي الصلاة على الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام بانفرادهم دون ذكر النبي عليه الصلاة والسّلام قولان: الجواز والمنع. الأول مروي عن مالك والثاني لسفيان بن عيينة.

فصل

في الصلاة على النبي ﷺ فضل كثير. قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً. ثم اسألوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة». وقال: من صلّي عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر

صلوات وحطّ عليه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وكتب له عشر حسنات. وجاء جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلّى عليك صلَّيت عليه. وقال ﷺ: إن أولى الناس بـي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة. وقال ﷺ: من قال حين يسمع النداء وأنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيـلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، غفرت له ذنوبه. وقال: من سلّم عليَّ عشراً فكأنما عتق رقبة. وقال: من قال اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وانزله المنزل المقرّب منك يوم القيامة وجبت له شفاعتي. وقال أبو بكر: الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد على النار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب. وقال ﷺ: من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتـاب. وقال: ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام ومن صلى عليَّ بقرب سمعته، ومن صلى عليَّ نائباً بلغته وفي الخبر أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، إلا إذا صلّي عليَّ. وصفة السّلام عليه: السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وصفة الصلاة عليـه: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. وهذه هي الصلاة التامة ويكفي الذاكر اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فصـل

وزيارة قبره عليه الصلاة والسّلام سنّـة من سنن المرسلين، وفضيلة مرغب فيها. قال رسول الله ﷺ: من زار قبري وجبت له شفـاعتي. وقال: مـن زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي. والزيارة شأن من ربح ليتبرك بوقوفه عند قبره. وبالصلاة في مسجده والصلاة عليه مقدّمة على

تحية المسجد وتبليغ السلام له. جائز يقول فلان يسلم عليك. وروى ابن وهب عن مالك، إذا سلم على النبي ﷺ فيكون وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ولا يمس القبر بيده ولا يرفع صوته. وقال: عليه الصلاة والسّلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. معناه أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من الصلاة في المسجد الحرام بدون الألف.

وفي الخبر ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، وقال ﷺ: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها. وقد اختلف العلماء أيهما أفضل مكة أو المدينة قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَذِي بِبَكَّةَ ﴾[1] إلى قوله ﴿ ءَامِناً ﴾ يعني من النار قاله أهل التفسير.

فصل

وأجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ وعلى سلامته من الوساوس، وعلى ما كان طريقه البلاغ، أنه لا يعتريه فيها وهم ولا غلط ولا نسيان ولا خلف في القول مطلقاً لا فيما أخذ به عن ربه ولا في غيره، وأنه يجوز عليه ما يجوز على غيره من الأحوال البشرية كالمرض والجوع والنوم إلا الجنون، فإنه مبرّأ منه. ولا يجوز عليه الإغماء، كما صرح به غير واحد من الأئمة (انظر الشفا) لأن الإغماء نوع من الجنون وهو عبارة عن غيبوبة العقل، وهو محال ولو في حال المرض لأنه لا يستولي على قلبه ﷺ.

وأجمعت الأمة على وجوب تعظيمه وتوقيره وتوقير آله وأصحابه. ومن سير السلف الصالح والأئمة الماضين، أنه إذا ذكر النبي ﷺ أخذهم الخضوع

(1) سورة آل عمران: الآية: 96.

والخشوع والسّكينة والوقار. وكان جعفر[1] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذا ذكر النبي ﷺ اصفر لونه. وكان مالك[2] لا يحدث إلا على طهارة. وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، إذا ذكر النبي ﷺ احمرّ لونه ورجف لسانه هيبة له. وكان عامر[3] بن عبد الله بن الزبير بن العوام إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى، حتى لا تبقى في عينيه دموع. وكانوا إذا ذكر الحديث لا يرفع أحد صوته. وقال مالك: حرمته ميتاً كحرمته حياً.

فصل

وأجمع العلماء من أهل الفتوى، أن من عاب النبي ﷺ وألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو نسب له شيئاً على طريق الازدراء والتقصير لشأنه، فحكمه حكم السّاب، قتل. وإن

---

(1) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين الدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وكان من سادات أهل البيت. ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر ولد سنة 80 هـ وتوفي سنة 148 هـ ودفن بالبقيع رحمه الله رحمة واسعة (وفيات الأعيان) لابن خلكان جـ 1 ص 327 طبع بيروت

(2) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر المدني أحد أئمة المذاهب المتبعة في العالم الإسلامي وإليه تنسب المالكية. ولد بالمدينة المنورة سنة 93 هـ. وكان بعيداً عن الأمراء والملوك وتوفي بالمدينة سنة 179 هـ. ودفن بالبقيع من تصانيفه الموطأ وغيره. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ 8 ص 168 طبع دمشق ولمالك رضي الله عنه ترجمة ضافية في عدة مصادر منها: كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمري ص 17 وما بعدها طبع مصر

(3) هو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي. كان من عبّاد الله المنقطعين. وكان عبدالله بن الزبير يقوله له لما يرى من تخشعه: يا بني إني قد رأيت أبا بكر وعمر فلم يكونا هكذا وبالجملة فعامر رحمه الله ورضي عنه. كان عالماً عابداً فاضلاً وكان ثقة مأموناً وله أحاديث يسيرة. وقال الخليلي: أحاديثه كلها يحتجُّ بها توفي سنة 124 هـ تقريباً (جمهرة نسب قريش وأخبارها) ص 220 للزبير بن بكار، طبع مصر، و(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 74، طبع بمطبعة حيدر آباد بالهند.

تاب، نفعته التوبة فيما بينه وبين الله، ولا يرتفع عنه القتل، ويكون قتله حدًّا لا كفراً، وما كان دون ذلك. فالعقوبة وهي موكلة إلى الحاكم، وحكم سائر الأنبياء حكم نبينا عليه الصلاة والسّلام، وسب آل بيته وأصحابه وأزواجه وذرياته ﷺ وتنقيصهم حرام تجب فيه العقوبة الشديدة، ويحدّ قاذفهم. قال عليه الصلاة والسلام: من سبّ أصحابي فاجلدوه. وقال: لا تسبّوا أصحابي ومن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً.

وقد انتهى قولنا فيما حرّرناه على الوجه الذي قدّمناه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ونسأله جلّ وعلا أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا بفضله العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليماً كثيراً أثيراً مجدّداً دائماً أبداً إلى يوم الدّين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين: تمّ بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه يوم الجمعة عند الضحى في شهر الله المعظم[1] سنة تسع وتسعين بعد المائة والألف، على يد ناسخه أحمد بن باباس بن أبي عبد الله بن أبي ستة البلخيري ثم العمري نسباً ومنشأ. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(1) بياض في الأصل.

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية اللأولى ﴾	الأحزاب	33	55
﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾	الأحزاب	37	57
﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ﴾	الأحزاب	50	58
﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾	المســد	1	62
﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾	المسد	1	64
﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾	النحل	126	65
﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾	الأحزاب	5	68
﴿ سبّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾	الصّف	1	73
﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾	آل عمران	169	81
﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين أن يبايعونك تحت الشجرة ﴾	الفتح	18	84
﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾	البقرة	207	85
﴿ إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ﴾	الشعراء	227	87
﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾	المائدة	67	91
﴿ والله يعصمك من الناس ﴾	المائدة	67	91
﴿ قل اوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾	الجن	1	97
﴿ إن شر الدواب عند الله ﴾	الأنفال	22	104
﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴾	التوبة	25	110
﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾	آل عمران	155	111

الآيــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ﴾	الإسراء	76	113
﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾	النصر	1	114
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ﴾	المائدة	3	114
﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾	آل عمران	144	118
﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾	الأحزاب	56	119
﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾	الشعراء	214	130
﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾	المسد	1	134
﴿ وأنك لعلي خلق عظيم ﴾	القلم	4	139
﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾	الحجر	72	140
﴿ والعاديات ضجا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً ﴾	العاديات	3,2,1	140
﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾	البلد	1	140
﴿ إن أول بيت وضع للناس ببكة ﴾	آل عمران	96	145

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشياء [1] خاصة بالرسول ﷺ

(1) جعلنا هنا فهرساً جمعنا فيه ما جاء في الكتاب من أشياء خاصة بالرسول ﷺ.

فهـرس الأعلام

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

- ل -

- م -

فهرس الأماكن

فهـرس الكتـب

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

الفهرس

دار الغرب الإسلامي
لصاحبها الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) ــ الحمراء ــ بناية الأسود
تلفون 340131 - 340132 ــ ص.ب. 113-5787 بيروت ــ لبنان

رقم 35 / 3000 / 1 / 84

الطباعة: مطبعة المتوسط ــ بيروت، لبنان ــ تلفون 811373 ــ 811385

